أهل الفترة

أقسام وأحكام

إعداد

أبو سلمان

صابر الديني

رحمه الله تعالى

غليفة – مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران: 102]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء: 1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: 70، 71].

أما بعد؛

فإن موضوع أهل الفترة لايبحث من باب بيان حكمهم وهل هم فى الجنة أم فى النار ,فتلك أمة قد خلت لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ولكنه يبحث من باب تأثير عارض الجهل ,بمعنى هل يعذر المشرك بوقوعه فى الشرك الأكبر لجهله أم لايعذر؟

وإن كان يعذر فى العقوبة والمؤاخذة لعدم قيام حجة الرسالة عليه فهل يعذر فى الإسم أيضاً ؟ أى لايسمى مشركاً حال تلبسه بالشرك الأكبر ؟

وبما أننا قد إبتلينا فى هذا الزمان بفرقتين هما أشد على الإسلام من اليهود والنصارى ,ابتلينا بغلو الخوارج وتفريط المرجئة ,وقد بينا حقيقة هؤلاء مرارا فيما كتبناه من قبل وبينا معنى العذر وما المقصود به وهل هو فى الاسم أم فى العقوبة وهل كل جهل معتبر؟وماهو الجهل الذى يعذر صاحبه ,كل ذلك فصلناه فى سلسلة الإيمان والكفر والشاهد أن الذى يبحث مسألة أهل الفترة إما يبحثها لينصر مذهب مرجئة العصر ليعذر الكفار والطواغيت والمرتدين فى زماننا وهؤلاء كثر ,لاكثرهم الله

والطرف الأخر يبحثها ليثبت أنهم كفار وعليه يكفر كل من وقع فى الكفر بالعموم دون النظر إلى الشروط والموانع ودون التفريق بين المسائل الخفية والمسائل الظاهرة ,وعدم التفريق بين مناط قيام الشريعة وبين غياب الشريعة فيكفر باللازم والشبهة والتأويل وهؤلاء هم الخوارج أهل الغلو فى التكفير والتوقف والتبين

الطرف الثالث وسط بينهما – بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة- وهم أهل السنة حقا والفرقة الناجية صدقا الطائفة المنصورة بإذن الله المتمسكين بالكتاب والسنة بفهم الصحابة رضى الله عنهم نسأل الله أن نكون منهم,وفى هذه الورقات نبين بعون الله تعالى المقصود بأهل الفترة وأقسامهم وأحكامهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين مع نقولات من كلام أهل العلم من أهل السنة والجماعة

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أبو سلمان

صابر الدرينى

ملخص المسألة

المراد بأهل الفترة صنفان

الذين لم تبلغهم دعوة رسول لنشوئهم فى بادية بعيدة أو عجزوا عن إدراك الحق والتمكن من العلم

أو هم الذين ماتوا قبل الإسلام وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وهم بهذا التقسيم صنفان

إما موحد مات لم يشرك بالله شيئاً

وإما مشرك مات على الكفر والشرك وهما نوعان

متمكن من العلم قادر عليه لكنه أعرض وقصر وفرط فهذا معذب غير معذور

عاجز عن العلم غير متمكن منه وهذا من أهل الإمتحان والإختبار يوم القيامة

وأصحاب العجز منهم المقبل ومنهم المعرض الراضى بما هو عليه

فأهل الفترة هم الذين عاشوا في فترة انقطاع الرسالة بين نبيين، فمنهم من بلغته الدعوة فوحد الله، ومنهم من أشرك، ومنهم من لم تبلغه الدعوة بالكلية، وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في حكمهم، وهم أقسام ويخطئ من يجعلهم قسما واحدا فإن السنة الصحيحة والنصوص الصريحة قسمتهم إلى ثلاثة أقسام قسم فى الجنة وقسم فى النار وقسم يختبر ويمتحن

1 – قسم فى الجنة كزيد بن عمرو بن نفيل وهؤلاء ماتوا على التوحيد لم يشركوا بالله شيئا وهم الحنفاء

2 – وقسم فى النار وهم الذين وقعوا فى الشرك وماتوا عليه مشركين مبدلين دين رب العالمين كعمرو بن لحى الخزاعي الذى بدل دين إبراهيم عليه السلام وعبد الله بن جدعان وكفار قريش وأبوى النبى صلى الله عليه وسلم

3 – وقسم لم يبلغه دعوة رسول ولم يتمكن من الحجة ولم يسمع بها كالعجوز والخرف والعاجز وهؤلاء أهل الإختبار والإمتحان يوم القيامة

وهؤلاء قسمان أحدهما؛ مريد للهدى، مؤثر له، محب له، غير قادر عليه، ولا على طلبه، لعدم من يرشده؛ فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، يقول: (يا رب لو

أعلم لك دينا خيرا مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي)، فهو كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه، بعد استفراغ الوسع في طلبه، عجزا وجهلا.

الثاني؛ معرض، لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، وراض بما هو عليهن لا يؤثر غيره عليه، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، فهو كمن لم يطلب الدين في الفترة، بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجز عنه.

ففرق بين عجز الطالب؛ وعجز، المعرض، وكلاهما عاجز.

قسم مقبل على طلب الهدى بذل الوسع واستفرغ الجهد فى معرفة الهدى والحق والصواب والقسم الثانى معرض ,وهذا القسم هو الذى وقع فيه النزاع بين أهل السنة بينه الإمام بن القيم فى طبقات المكلفين أخر كتابه طريق الهجرتين ,والشيخ على الخضير فى الطبقات وأل الشيخ فى الكشف وغيرهم من أهل العلم كثير

والإجماع على أنهم لايسمون مسلمين بغض النظر عن عذرهم أو عدم عذرهم ,

فليس كل كافر معذب كما أنه ليس كل كافر يقتل .

هذا هو أصل المسألة على الإجمال وإليك التفصيل والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولاقوة إلا بالله .

تعريف الفترة لغة واصطلاحاً

الفترة في اللغة: هي السكون والضعف.

تقول: فتر الشيء: إذا سكن بعد حدة، ولان بعد شدة.

وتقول: أفتره الداء: أي: أضعفه.

والفترة: فعلة من: فتر الأمر يفتر أو يفتر فتوراً، وذلك إذا هدأ أو سكن، وفي الحديث: (ثم فتر الوحي)، أي: انقطع وسكن.

أما اصطلاحاً فهي: ما كان بين كل نبيين، كانقطاع الرسالة بين عيسى عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام، وكالفترة بين نوح وإدريس عليهما السلام، وقيل: هي ما كانت بين رسولين، فلم يرسل فيها إلى الناس الرسول الأول، ثم لم يدركوا الرسول الثاني، فهذه فترة.

وقال الألوسي رحمه الله: أجمع المفسرون على أن الفترة هي الانقطاع ما بين رسولين، قال الله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ} [المائدة:19]،

وفي الصحيح: (أن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة)، وهذا في البخاري، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا أولى الناس بابن مريم -والأنبياء أولاد علات-؛ ليس بيني وبينه نبي)، رواه البخاري، والعلات: الضرائر، كما جاء في الحديث الآخر: (نحن -معشر الأنبياء- إخوة لعلات، ديننا واحد، وأمهاتنا شتى)، فقوله: (ديننا واحد) يعني العقيدة، لكن الشرائع تختلف، فالحلال والحرام، ونظم الطلاق، والزواج، والبيوع، والأمور العامة تتفاوت، والشرائع تتغير وتنسخ، لكن العقيدة واحدة من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، والأنبياء كلهم جاءوا ليدعوا إلى الإسلام، فقوله: (وأمهاتنا شتى) هي الشرائع والأحكام في الحلال والحرام، والأمور العملية.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (ليس بيني وبينه نبي) لفظ واضح وصريح في أنه لم يكن هناك نبي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، خلافاً لبعض الأحاديث الضعيفة التي فيها إثبات نبي من الأنبياء ضيعه قومه، فهذا الحديث صريح في ذلك، حيث قال: (ليس بيني وبينه نبي) وهو أصح.

والفترة معناها كما قال ابن كثير : هي ما بين كل نبيين كانقطاعالرسالة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم)

فهم الذين وقعوا بين رسولين لم يدركوا الأول ولم يدركهم الثاني. لم يدركوا الأول بمعنى أن الأول قد أرسل بشرع ثم أندرس ذلك الشرع ولم تبق لهم معالم ولا أثر، فحينئذٍ إذا وجد أناس لم يسمعوا بذلك الرسول ولم يعرفوا شريعته حينئذٍ نقول: هؤلاء لم يرسل إليهم الأول، ما أدركوه حسًا ولم يدركوا شرعه، ثم بعث – ماتوا – وبعث بعده رسول هل أدركهم الرسول؟ قالوا: لا، إذًا وقعوا بين منزلتين بين رسولين

وهذا وإن قال به كثير من أهل العلم إلى أن بعضهم – بعض المحققين من السلف وغيرهم – أنكر وجود ما يُسمى بأهل الفترة، **وإن وُجِدَ بعضهم كالأصم** ونحوه مما دل الحديث على أنه يُبتلى ويُختبر لكن بهذه الصفة وجود قوم بين رسولين هذا ظاهر النصوص والله أعلم ردّه، لماذا؟

لأنه ينافي أصول قطعية:فالحجة كانت قائمة على العرب قبل البعثة بدين إبراهيم، وكان منهم من هو على بقية من الدين الحق، وهم الحنفاء، ومنهم زيد بن عمرو، وكانت قريش تفخر على العرب بأنهم نسل إبراهيم، ويسمون أنفسهم: الحُمْس، كما ورد في أول سيرة ابن هشام.

ولهذا قال الإمام النووي في"شرح مسلم" (79/3) في شرح حديث (إن أبي وأباك في النار): فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين،

وفيه: أن من مات في الفترة على **ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان** فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة؛ فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم، وغيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم. انتهى

وهذا من أبين التحقيق وأظهره،ولا يشكل على هذا الضابط آية سورة القصص، وهو قوله تعالى(لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبل......) (46)

فتدل هذه على أن العرب لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن يعارضها قوله تعالى(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (فاطر:24)

فمقتضاه: أنه جاءهم نذير، وهو: إبراهيم، عليه السلام، كما ثبت بالنصوص السالفة الذكر.

وعلى هذا، فإن آية القصص، ونحوها لا تشكل على أن العرب كانوا محجوجين بدين إبراهيم،

عليه السلام، وأن الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم في النار، ممن ماتوا قبل بعثته، قامت عليهم الحجة الرسالية بدين إبراهيم، عليه السلام،

وبهذا يظل الضابط الفقهي في هذا الباب صحيحا غير منخرم، وهو: أنه لا يدخل النار إلا من قامت عليه الحجة الرسالية؛ إما بدعوة رسول في الدنيا، وإما باختبار في عرصات يوم القيامة، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

تعريف العلماء لأهل الفترة

اختلف أهل العلم فى تعريف أهل الفترة على أقوال متقاربة كلهاترجع إلى أصل واحد فقال بعضهم

أهل الفترة هم الذين لم يدركوا النبي السابق ولم يلحقهم اللاحق, حينئذ لم تبلغهم الدعوة, وقعوا في الشرك, صرفوا العبادة لغير الله عز وجل, هل هم مسلمون أو لا,

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الخلاف الوارد بين أهل العلم إنما هو في مصيرهم في الآخرة, هل يدخلون النار مطلقاً خالدون مخلدون أم أنهم يُختبرون يُمتحنون أم أنهم يُعذرون؟ الله أعلم بذلك. الخلاف في الآخرة,

وأما في الدنيا فقال رحمه الله: **محل إجماع أنهم مشركون**, إن وُجدوا لا يُصلّى عليهم ولا يُغسّلون ولا يُكفّنون ولا يرثون ولا يورثون.

أهل الفترة لم تأتهم النذارة وَلَا بَلغهُمْ خبر النُّبُوَّة

أهل الفترة هم الذين يعيشون في وقت لم تبلغهم فيه دعوة رسول ولم يأتهم كتاب كالفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : { قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ } [سورة المائدة : آية 19] ، ويلحق بأهل الفترة من كان يعيش منعزلاً أو بعيدًا عن الإسلام والمسلمين، وأما حكمهم فإلى الله سبحانه وتعالى

قَالَ بعض الْمُحَقِّقين لَا يُوجد صَاحب الفترة إِلَّا من ولد فِي مفازة خَالِيَة عَن سَماع بعثة صَاحب النُّبُوَّة بِالْكُلِّيَّةِ على خلاف فِي أَنه هَل هُوَ مُكَلّف بِالْعقلِ تَوْحِيد الرب وشكر نعْمَته وَوُجُوب النّظر فِي صَنعته أم لَا.

فأهل الفترة هُوَ الَّذِي يكون على أصل الْفطْرَة من التَّوْحِيد وَلم يظْهر مِنْهُ من الْكفْر مَا يُنَافِي التفريد كَمَا يدل عَلَيْهِ قَوْله سُبْحَانَهُ {فطْرَة الله الَّتِي فطر النَّاس عَلَيْهَا لَا تَبْدِيل لخلق الله} وكما ورد فِي حَدِيث كل مَوْلُود يُولد على الْفطْرَة فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ ويمجسانه الحَدِيث وَفِيه دَلِيل على أَن كل مَوْلُود فِي حَال عقله وَكَمَال حَالَة إِذا خلي هُوَ من طبعه اخْتَار التَّوْحِيد لله فِي الذَّات والتفريد لَهُ فِي الصِّفَات كَمَا يدل عَلَيْهِ قصَّة الْمِيثَاق الَّذِي وَقع عَلَيْهِ الِاتِّفَاق على مَا هُوَ مُقرر فِي مَحَله الْأَلْيَق

وَلِهَذَا قَالَ الإِمَام فَخر الدّين من مَاتَ مُشْركًا فَهُوَ فِي النَّار وَإِن مَاتَ قبل الْبعْثَة لِأَن الْمُشْركين كَانُوا قد غيروا الحنيفية دين إِبْرَاهِيم واستبدلوا بهَا الشّرك وارتكبوه وَلَيْسَ مَعَهم حجَّة وَلم يزل مَعْلُوما من دين الرُّسُل كلهم من أَوَّلهمْ إِلَى آخِرهم قبح الشّرك والوعيد عَلَيْهِ فِي النَّار وأخبار عقوبات الله لأَهله متداولة بَين الْأُمَم قرنا بعد قرن فَللَّه الْحجَّة الْبَالِغَة على الْمُشْركين فِي كل وَقت وَحين وَلَو لم يكن إِلَّا مَا فطر الله عباده عَلَيْهِ من تَوْحِيد ربوبية وَأَنه يَسْتَحِيل فِي كل فطْرَة وعقل أَن يكون مَعَه إِلَه آخر وَإِن كَانَ سُبْحَانَهُ لَا يعذب بِمُقْتَضى هَذِه الْفطْرَة وَحدهَا فَلم تزل دَعْوَة الرُّسُل إِلَى التَّوْحِيد فِي الأَرْض مَعْلُومَة لأَهْلهَا فالمشرك مُسْتَحقّ للعذاب فِي النَّار لمخالفته دَعْوَى الرُّسُل وَهُوَ مخلد فِيهَا دَائِما كخلود أهل الْجنَّة فِي الْجنَّة انْتهى

وهذا وإن كان قولا له حظ من النظر لكن يرد عليه قول الله تبارك وتعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وهذا من رحمة الله مع شركهم ونقضهم الميثاق الأول وميثاق الفطرة إلا أن الله لايعذبهم حتى يبعث إليهم رسولا يذكرهم ويعلمهم (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وهذا هو الصحيح الثابت عند أهل السنة والجماعة

من هم أهل الفترة؟ هم طائفة لم يُدركوا الرسول السابق، ولَمْ يلحقهم اللاحق، لم خلقوا إذًا؟ والله عز وجل يقول ({وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}) هذا حصر، ما من جِنّيٍّ ولا إنسي إلا خُلِقَ لتحقيق العبادة، وهؤلاء خلقوا لأي شيء؟ هذا فيه انتفاء للحكمة الذي خُلقوا من أجلها، يحتاج إلى دليل واضح بَيِّن للتخصيص، وأما الحديث الْمُدَّعَى فيه نظر. إذًا أن الرسالة عمت كل أمة.

وَلَا يخفى أَن مَا ورد عَنهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي حق بعض أَرْبَاب الفترة من التعذيب يدل دلَالَة صَرِيحَة للرَّدّ على مَا عَلَيْهِ بعض الشَّافِعِيَّة من أَن أهل الفترة لَا يُعَذبُونَ مُطلقًا قَالَ وَأَصله أَنه عِنْدهم محجوج عَلَيْهِ بعقله وَعِنْدنَا هُوَ غير محجوج عَلَيْهِ قبل بُلُوغ الدعْوَة إِلَيْهِ

وَمِنْهَا قَول السُّيُوطِيّ إِنَّه ورد فِي أهل الفترة أَحَادِيث أَنهم يمتحنُونَ يَوْم الْقِيَامَة بِأَن ترفع لَهُم نَار فَيُقَال لَهُم ادخلوها فيدخلها من كَانَ فِي علم الله سعيدا لَو أدْرك الْعَمَل وَيمْتَنع من دُخُولهَا من كَانَ فِي علم الله شقيا لَو أدْرك الْعَمَل فَيَقُول تبَارك وَتَعَالَى إيَّايَ عصيتم فَكيف برسلي بِالْغَيْبِ وَلَا يخفى أَن هَذَا على تَقْدِير صِحَّته وقوته لمعارضة مُخَالفَته وَإِنَّمَا يكون فِيمَن مَاتَ من أهل الفترة وَلم يعلم حَاله من إِحْدَاث الشّرك أَو التَّوْحِيد على الْفطْرَة وَأما من ثَبت كفره

بِالْكتاب وَالسّنة واتفاق الْأَئِمَّة فَلَا وَجه لإدخاله فِي أَصْحَاب الامتحان للطاعة كورقة بن نَوْفَل وَقس بن سَاعِدَة وَغَيرهمَا مِمَّن ثَبت توحيدهما وَلَا نَحْو صَاحب المحجن وَغَيره مِمَّن ثَبت شركهما (**إن من بلغته الدعْوَة لَا يكون من أهل الفترة** إن من مَاتَ فِي الفترة على مَا كَانَت عَلَيْهِ الْعَرَب من عبَادَة الْأَوْثَان فَهُوَ فِي النَّار وَلَيْسَ هَذَا من التعذيب قبل بُلُوغ الدعْوَة لِأَنَّهُ بلغتهم دَعْوَة إِبْرَاهِيم وَغَيره من الرُّسُل انْتهى

قال ابن القيم رحمه الله في الكلام على أهل الفترة عند حديث المنتفق، وقوله صلى الله عليه وسلّم: "إنّ أباك المنتفق في النار"؛ ولو لم يكن من الأدلة على توحيد الله ومعرفته إلا ما اعترفوا به من ربوبية الله واختصاصه بالخلق والإيجاد والإبداع لكفى بذلك دليلاً، أو نحو هذا الكلام.

مع أن العلامة ابن القيم رحمه الله جزم بكفر المقلدين لشيوخهم في المسائل المكفرة إذا تمكنوا من طلب الحق ومعرفته، وتأهلوا لذلك. فأعرضوا ولم يلتفتوا. ومن لم يتمكن ولم يتأهل لمعرفة ما جاءت به الرسل فهو عنده من جنس أهل الفترة ممن لم تبلغه دعوة رسول من الرسل.

وكلا النوعين لا يحكم بإسلامهم ولا يدخلون في مسمى المسلمين،

و ضابط أهل الفترة

أهل الفترة هم الذين انقطع عنهم الوحي، وهذا ضابط أول لمعرفة أهل الفترة، الضابط الثاني -وهو مهم جداً-: أنهم الذين لم تبلغهم دعوة نبي, فهؤلاء هم أهل الفترة.

فهم الذين حال بينهم وبين الهداية والرسالة العجز المطلق وهو أهل العذر على الحقيقة

الخلاصة أن أهل الفترة

هم الذين عاشوا في فترة انقطاع الرسالة بين نبيين، فمنهم من بلغته الدعوة فوحد الله، ومنهم من أشرك، ومنهم من لم تبلغه الدعوة بالكلية، وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في حكمهم، وهم أقسام ويخطئ من يجعلهم قسما واحدا فإن السنة الصحيحة والنصوص الصريحة قسمتهم إلى ثلاثة أقسام

1 - قسم فى الجنة كزيد بن عمرو بن نفيل وهؤلاء ماتوا على التوحيد لم يشركوا بالله شيئا وهم الحنفاء

2 – وقسم فى النار وهم الذين وقعوا فى الشرك وماتوا عليه مشركين مبدلين دين رب العالمين كعمرو بن لحى الخزاعي الذى بدل دين إبراهيم عليه السلام

3 – وقسم لم يبلغه دعوة رسول ولم يتمكن من الحجة و لم يسمع بها كالعجوز والخرف العاجز وهؤلاء قسمان

قسم مقبل على طلب الهدى بذل الوسع واستفرغ الجهد فى معرفة الهدى والحق والصواب والقسم الثانى معرض ,وهذا القسم هو الذى وقع فيه النزاع بين أهل السنة بينه الإمام بن القيم فى طبقات المكلفين أخر كتابه طريق الهجرتين ,والشيخ على الخضير فى الطبقات وأل الشيخ فى الكشف وغيرهم من أهل العلم كثير ,والإجماع على أنهم لايسمون مسلمين بغض النظر عن عذرهم أو عدم عذرهم ,فليس كل كافر معذب كما أنه ليس كل كافر يقتل **0**

أقسام أهل الفترة

ينقسم أهل الفترة إلى قسمين:

قسم بلغته الدعوة، وقسم لم تبلغه الدعوة، فمن بلغته الدعوة من أهل الفترة قسمان: قسم بلغته الدعوة وأشرك بالله، وقسم وحد ولم يشرك بالله.

وقد قدمنا أن أهل الفترة هم الذين يعيشون في فترة انقطاع الرسالة بين نبيين، فلا أرسل إليهم النبي الأول، ولا أدركوا النبي الثاني، لكن هؤلاء بلغتهم الدعوة بصورة أو بأخرى، كالمشركين الذين سمعوا أو علموا شيئاً من دين إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فقسم واحد من هؤلاء الذين عاشوا في هذه الفترة لم يشرك، إما بفطرته، وإما بالاطلاع على بقايا من دين السابقين.

والقسم الثاني: قسم لم تبلغه الدعوة ولكنه غَير وأشرك مع الله،

وهناك قسم آخر من أهل الفترة لم تبلغه الدعوة، وبقي على حين غفلة،

فهؤلاء تنازع العلماء فيهم على أقوال، فبعض العلماء يقول: إن الواحد من هؤلاء يموت ناجياً.

والقول الثاني أنه يكون في النار،

والثالث: يمتحن بنار في عرصات القيامة.

والصحيح ان من لم تبلغه دعوة رسول ومات مشركا الصحيح أنه من أهل الإختبار

من بلغته الدعوة ووحد ولم يشرك

أما القسم الأول فهو من بلغته الدعوة ووحد ولم يشرك، كـ **قس بن ساعدة الإيادي** أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، وكان قس يسكن نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب على سيف أو عصا.

وهو أول من قال في كلامه: أما بعد.

أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وسئل عنه بعد البعثة فقال: (يحشر أمة وحده)، توفي سنة ثلاث وعشرين قبل الهجرة، أي أنه لم يدرك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا قرأنا كلام قس بن ساعدة الإيادي كما حكاه ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الثاني نجد

توحيداً كثيراً جداً في كلامه، وله خطبة مشهورة، من كلماتها (أقسم قس قسماً لا ريب فيه أن لله ديناً هو أرضى له من دينكم)، فكان يخطب في المشركين ويقول لهم هكذا.

ومن هؤلاء الذين هم من أهل الفترة الذين بلغتهم الدعوة ووحدوا ولم يشركوا **زيد بن عمرو بن نفيل**، وهو أحد حكماء العرب، كان يكره عبادة الأوثان، رحل إلى الشام باحثاً عن دين، ثم عاد إلى مكة ليعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام، كان عدواً لدوداً لوأد البنات، وهو والد سعيد بن زيد الصحابي الجليل رضي الله عنه، وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول: اللهم! إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك، ولكني لا أعلم.

ثم يسجد على راحلته، أي: لو أعرف كيف أعبدك والطريقة التي يمكن أن أعبدك بها وهي محبوبة إليك -بل هي أحب الوجوه إليك- لفعلتها.

لكنه كان لا يعرف، لذا فإن العبادات إنما تعرف عن طريق الوحي، ثم إن الشيء الذي كان يستطيع أن يفعله هو أن يسجد على راحلته لله تبارك وتعالى، وكان يقول أيضاً: أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور وقد أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، وكان يتحنث في غار حراء، وكان لا يأكل مما ذبح على النصب، فذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة فقال: (غفر الله له ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم)، فهذا النوع ليس محلاً للنزاع؛ لأن النصوص الواردة تدل على أن هناك من ماتوا على التوحيد.

من بلغته الدعوة وأشرك ولم يوحد الله تعالى

النوع الثاني من أهل الفترة: من بلغته الدعوة، ولكنه أشرك وغَير ولم يوحد، وأمثلته كثيرة، كـ **عمرو بن لحي بن عامر الأسدي**، وهو أول من غير في دين إسماعيل عليه السلام، قدم الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام فأعجب بها، فأخذ منها وأتى مكة، ودعا الناس إلى عبادتها، وكان آنذاك سيد قومه، فـ عمرو بن لحي هو أول من سن عبادة الأصنام، وهو الذي بحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت عمرو بن لحي بن خندف أخا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار)، أي: يجر أمعاءه في النار.

وفي بعض الأحاديث: (لأنه أول من سيب السوائب)، وهذا محمول على أنه غير وبدل وأشرك بعد أن بلغته الدعوة.

وكذلك **عبد الله بن جدعان التيمي القرشي**، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن جدعان فقالت: (قلت: يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا؛ إنه لم يقل يوماً: رب! اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

ومن ذلك -أيضاً- ما ورد في عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم، الذي توفي والرسول صلى الله عليه وسلم في بطن أمه، ففيما رواه مسلم: (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه، فقال له: إن أبي وأباك في النار)، أخرجه مسلم.

وكذلك ورد حديث بشأن أم النبي صلى الله عليه وسلم، وهي آمنة بنت وهب، وقد توفيت عنه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست سنوات، قال عليه الصلاة والسلام: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)، أخرجه مسلم، فهذا الحديث يحتمل أنها بلغتها الدعوة، ويحتمل أنها لم تبلغها الدعوة، وهذا النص ليس بصريح؛ لأن النبي نُهيَّ عن الاستغفار لها حيث إنها لم تمت على التوحيد، سواء بلغتها الدعوة أم لم تبلغها.

فهذا النوع ليس محلاً للنزاع لورود النصوص التي تفيد بأن الدعوة قد بلغتهم، وذكر بعض العلماء أن الله أحيا له أبويه فأسلما على يديه ثم ماتا، وهذا موجود في رسالة للإمام السيوطي، ولا يصح، وقد طبعت هذه الرسالة مؤخراً محققة، لكن لا يصح ذلك أبداً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حول هذه الدعوة:

لم يصح ذلك عن أهل الحديث، بل أهل العلم متفقون على أن ذلك كذب مختلق، ولو كان صحيحاً لتناقلته كتب الصحاح؛ لأنه من أعظم الأمور خرقاً للعادة، لما فيه من إحياء الموتى والإيمان بعد الموت، وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} [النساء:18] فبين الله سبحانه وتعالى أنه لا توبة لمن مات

كافراً، وجاء في صحيح مسلم: (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أين أبي؟ فقال: إنه في النار.

فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار).

يقول شيخ الإسلام: وكذلك حديث الاستغفار، فلو كان الاستغفار جائزا بحقهما لم ينهه عن ذلك، أي: الاستغفار، فإن الأعمال بالخواتيم،

مَسْأَلَة: أهل الفترة معذورون فِي الدُّنْيَا، ويختبرون فِي الْآخِرَة.

أَنَّ اللَّهَ جلَّ وَعَلَا لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْإِنْذَارِ وَالْإِعْذَارِ

[قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} . ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ اللَّهَ جلَّ وَعَلَا لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا يُنْذِرُهُ وَيُحَذِّرُهُ فَيُعْصَى ذَلِكَ الرَّسُولُ، وَيُسْتَمَرُّ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ بَعْدَ الْإِنْذَارِ وَالْإِعْذَارِ.

وَقَدْ أَوْضَحَ جلَّ وَعَلَا هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} فَصَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: بِأَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَقْطَعَ حُجَّةَ كُلِّ أَحَدٍ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، مُبَشِّرِينَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرِينَ مَنْ عَصَاهُمُ النَّارَ.

وَهَذِهِ الْحُجَّةُ الَّتِي أَوْضَحَ هُنَا قَطَعَهَا بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ. بَيَّنَهَا فِي آخِرِ سُورَةِ طَهَ بِقَوْلِهِ {وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى}

وَأَشَارَ لَهَا فِي سُورَةِ الْقَصَصِ بِقَوْلِهِ: {وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَاقَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ، وَقَوْلِهِ جلَّ وَعَلَا: {ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} ، وقَوله: {يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ} ، وَكَقَوْلِهِ: {وهذا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّآ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَيُوَضِّحُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ جلَّ وَعَلَا لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْإِنْذَارِ وَالْإِعْذَارِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَصْرِيحُهُ جلَّ وَعَلَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ بِأَنْ لَمْ يُدْخِلْ أَحَدًا النَّارَ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جلَّ وَعَلَا: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوْلَهُ جلَّ وَعَلَا: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ} يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَفْوَاجِ الْمُلْقِينَ فِي النَّارِ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي «الْبَحْرِ الْمُحِيطِ» فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا مَا نَصُّهُ:

«وَكُلَّمَا» تَدُلُّ عَلَى عُمُومِ أَزْمَانِ الْإِلْقَاءِ فَتَعُمُّ الْمُلْقِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جلَّ وَعَلَا: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} ، وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} عَام لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ.

أَنَّ لَفْظَةَ «كُلٍّ، وَجَمِيعٍ، وَالَّذِي، وَالَّتِي» وَفُرُوعِهِمَا كُلُّ ذَلِكَ مِنَ صِيغ الْعُمُومِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} إِلَى قَوْله {يَوْمِكُمْ هَذَا} عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ قَدْ أَنْذَرَتْهُمُ الرُّسُلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَعَصَوْا أَمْرَ رَبِّهِمْ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ.

وَنَظِيرُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ} . فَقَوله {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ} إِلَى قَوْله {النَّذِيرُ فَذُوقُواْ} عَامٌّ أَيْضًا فِي جَمِيعِ أَهْلِ النَّارِ. كَمَا تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ قَرِيبًا.

وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ قَالُواْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ بَلَى قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ} ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ أَنْذَرَتْهُمُ الرُّسُلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَا وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى عُذْرِ **بعض** أَهْلِ الْفَتْرَةِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ وَلَوْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَبِهَذَا قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَذَهَبَتْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَوْ لَمْ يَأْتِهِ نَذِيرٌ، وَاسْتَدَلُّوا بِظَوَاهِرِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَبِأَحَادِيثَ عَنِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَدَلُّوا بِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} ، وَقَوْلُهُ: {إِن الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ، وَقَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ} ، وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} ، وَقوله: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} ، وَقَوْلُهُ {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ} ، وَقَوْلُهُ: {قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَظَاهِرُ جَمِيعِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْعُمُومُ. لِأَنَّهَا لَمْ تُخَصَّصْ كَافِرًا دُونَ كَافِرٍ، بَلْ ظَاهِرُهَا شُمُولُ جَمِيعِ الْكُفَّارِ.

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يُعْذَرُونَ فِي كُفْرِهِمْ بِالْفَتْرَةِ

مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَين أَبِي؟. قَالَ: «فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» (1) اهـ.

وَقَالَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ أَيْضًا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ كَيسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي»

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كِيسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى

وأبكى مَنْ حَوْلَهُ. فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تذكِّر الْمَوْتَ» (1) اهـ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى عَدَمِ عُذْرِ الْمُشْرِكِينَ بِالْفَتْرَةِ.

وَهَذَا الْخِلَافُ مَشْهُورٌ بَيْنَ أَهْلِ الْأُصُولِ، هَلِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْفَتْرَةِ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ فِي النَّارِ لِكُفْرِهِمْ، أَوْ مَعْذُورُونَ بِالْفَتْرَةِ؟

وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ أَهْلَ الْفَتْرَةِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ فِي النَّارِ:

النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ، وَحَكَى عَلَيْهِ الْقَرَافِيُّ فِي شَرْحِ التَّنْقِيحِ الْإِجْمَاعَ.

كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ صَاحِبُ «نَشْرِ الْبُنُودِ» .

وَأَجَابَ أَهْلُ هَذَا الْقَوْلِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ التَّعْذِيبَ المنفى فِي قَوْله {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ} ، وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْآيَاتِ، إِنَّمَا هُوَ التَّعْذِيبُ الدُّنْيَوِيُّ، كَمَا وَقَعَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ بِقَوْمِ نُوحٍ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَقَوْمِ صَالِحٍ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَقَوْمِ شُعَيْبٍ، وَقَوْمِ مُوسَى وَأَمْثَالِهِمْ. وَإِذًا فَلَا يُنَافِي ذَلِكَ التَّعْذِيبَ فِي الْآخِرَةِ.

وَنَسَبَ هَذَا الْقَوْلَ الْقُرْطُبِيُّ، وَأَبُو حَيَّانَ، وَالشَّوْكَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ فِي تَفَاسِيرِهِمْ إِلَى الْجُمْهُورِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ مَحَلَّ الْعُذْرِ بِالْفَتْرَةِ الْمَنْصُوصَ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ} وَأَمْثَالِهَا فِي غَيْرِ الْوَاضِحِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى أَدْنَى عَاقِلٍ، أَمَّا الْوَاضِحُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ عِنْدَهُ عَقْلٌ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَلَا يُعْذَرُ فِيهِ أَحَدٌ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّهُمْ، الْخَالِقُ الرَّازِقُ، النَّافِعُ، الضَّارُّ، وَيَتَحَقَّقُونَ كُلَّ التَّحَقُّقِ أَنَّ الْأَوْثَانَ لَا تَقْدِرُ عَلَى جَلْبِ نَفْعٍ وَلَا عَلَى دَفْعِ ضُرٍّ، كَمَا قَالَ عَنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ} وَكَمَا جَاءَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ بِكَثْرَةٍ بِأَنَّهُمْ وَقْتَ الشَّدَائِدِ يُخْلِصُونَ الدُّعَاءَ لِلَّهِ وَحْدَهُ. لِعِلْمِهِمْ أَنَّ غَيْرَهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، كَقَوْلِهِ {فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ، وَقَوْلِهِ: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ، وَقَوْلِهِ: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ} ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَكِنَّ الْكُفَّارَ غَالَطُوا أَنْفُسَهُمْ لِشِدَّةِ تَعَصُّبِهِمْ لِأَوْثَانِهِمْ فَزَعَمُوا أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَأَنَّهَا شُفَعَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ يَقْطَعُ بِنَفْيِ ذَلِكَ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ عِنْدَهُمْ بَقِيَّةَ إِنْذَارٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا قَبْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ قَائِمَةٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَجَزَمَ بِهَذَا النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ،.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: مَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْفَتْرَةِ فِي النَّارِ، كَمَا قَدَّمْنَا بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ.

وَأَجَابَ الْقَائِلُونَ بِعُذْرِهِمْ بِالْفَتْرَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَوْجُهِ الْأَرْبَعَةِ، فَأَجَابُوا عَنِ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ كَوْنُ التَّعْذِيبِ فِي قَوْله: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} إِنَّمَا هُوَ التَّعْذِيبُ الدُّنْيَوِيُّ دُونَ الْأُخْرَوِيّ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ خِلَافَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ انْتِفَاءُ التَّعْذِيبِ مُطْلَقًا، فَهُوَ أَعَمُّ مِنْ كَوْنِهِ فِي الدُّنْيَا، وَصَرْفُ الْقُرْآنَ عَنْ ظَاهِرِهِ مَمْنُوعٌ إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْقُرْآنَ دَلَّ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ على شُمُولِ التَّعْذِيبِ الْمَنْفِي فِي الْآيَةِ لِلتَّعْذِيبِ فِي الْآخِرَةِ. كَقَوْلِهِ: {كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَى} وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ أَفْوَاجِ أَهْلِ النَّارِ مَا عُذِّبُوا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بَعْدَ إِنْذَارِ الرُّسُلِ. كَمَا تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ.

وَأَجَابُوا عَنِ الْوَجْهِ الثَّانِي، وَهُوَ أَنَّ مَحَلَّ الْعُذْرِ بِالْفَتْرَةِ فِي غَيْرِ الْوَاضِحِ الَّذِي لَا يُخْفَى عَلَى أَحَدٍ بِنَفْسِ الْجَوَابَيْنِ الْمَذْكُورِينَ آنِفًا؛ لِأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْوَاضِحِ وَغَيْرِهِ مُخَالِفٌ لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ نَصَّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ مَا عُذِّبُوا بِهَا حَتَّى كَذَّبُوا الرُّسُلَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْكُفْرِ الْوَاضِحِ، كَمَا تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ.

وَأَجَابُوا عَنِ الْوَجْهِ الثَّالِثِ الَّذِي جَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ، ، وَهُوَ قِيَامُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِإِنْذَارِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا قَبْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ بِلَا شَكٍّ؛ لِكَثْرَةِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُصَرِّحَةِ بِبُطْلَانِهِ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَاهُ أَنَّهُمْ أُنْذِرُوا عَلَى أَلْسِنَةِ بَعْضِ الرُّسُلِ وَالْقُرْآنُ يَنْفِي هَذَا نَفْيًا بَاتًّا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ. كَقَوْلِهِ فِي «يس» : {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ آبَآؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} وَ «مَا» فِي قَوْلِهِ {مَّآ أُنذِرَ آبَآؤُهُمْ} نَافِيَةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ، لَا مَوْصُولَةٌ، وَتَدُلُّ لِذَلِكَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ {فَهُمْ غَافِلُونَ} ، وَكَقَوْلِهِ فِي «الْقَصَصِ» : {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً

مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} ، وَكَقَوْلِهِ فِي «سَبَأٍ» {وَمَآ آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِّن نَّذِيرٍ} ، وَكَقَوْلِهِ فِي «الم السَّجْدَةِ» : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَجَابُوا عَنِ الْوَجْهِ الرَّابِعِ، بِأَنَّ تِلْكَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ أَخْبَارُ آحَادٍ يُقَدَّمُ عَلَيْهَا الْقَاطِعُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} ، وَقَوْلُهُ: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَى} ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَجَابَ الْقَائِلُونَ بِالْعُذْرِ بِالْفَتْرَةِ أَيْضًا عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَدَلَّ بِهَا مُخَالِفُوهُمْ كَقَوْلِهِ: {وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} ، إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ بِأَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ فِيمَا إِذَا أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ فَكَذَّبُوهُمْ بِدَلِيلِ قَوْله: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} .

وَأَجَابَ الْقَائِلُونَ بِتَعْذِيبِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ عَنْ قَوْلِ مُخَالِفِيهِمْ: إِنَّ الْقَاطِعَ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} يَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَى أَخْبَارِ الْآحَادِ الدَّالَّةِ عَلَى تَعْذِيبِ بَعْضِ أَهْلِ الْفَتْرَةِ، كَحَدِيثَيْ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِأَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَالْحَدِيثَيْنِ كِلَاهُمَا خَاصٌّ فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ. وَالْمَعْرُوفُ فِي الْأُصُولِ أَنَّهُ لَا يَتَعَارَضُ عَامٌّ وَخَاصٌّ؛ لِأَنَّ الْخَاصَّ يَقْضِي عَلَى الْعَامِّ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَمَا بَيَّنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

فَمَا أَخْرَجَهُ دَلِيلٌ خَاصٌّ خَرَجَ مِنَ الْعُمُومِ، وَمَا لَمْ يُخْرِجْهُ دَلِيلٌ خَاصٌّ بَقِيَ دَاخِلًا فِي الْعُمُومِ. كَمَا تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ.

وَأَجَابَ الْمَانِعُونَ بِأَنَّ هَذَا التَّخْصِيصَ يُبْطِلُ حِكْمَةَ الْعَامِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا تَمَدَّحَ بِكَمَالِ الْإِنْصَافِ. وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ حَتَّى يَقْطَعَ حُجَّةَ الْمُعَذَّبِ بِإِنْذَارِ الرُّسُلِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَشَارَ لِأَنَّ ذَلِكَ الْإِنْصَافَ الْكَامِلَ، وَالْإِعْذَارَ الَّذِي هُوَ قَطْعُ الْعُذْرِ عِلَّةٌ لِعَدَمِ التَّعْذِيبِ، فَلَوْ عَذَّبَ إِنْسَانًا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ إِنْذَارٍ لَاخْتَلَّتْ تِلْكَ الْحِكْمَةُ الَّتِي تَمَدَّحَ اللَّهُ بِهَا، وَلَثَبَتَتْ لِذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْحُجَّةُ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ لِقَطْعِهَا، كَمَا بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ

لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} ، وقَوْلِهِ: {وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى} كَمَا تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ.

هَلْ يَعْذُرُ الْمُشْرِكُونَ بِالْفَتْرَةِ أَوْ لَا؟

هُوَ أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بِالْفَتْرَةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْتَحِنُهُمْ بِنَارٍ يَأْمُرُهُمْ بِاقْتِحَامِهَا، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُصَدِّقُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنِ امْتَنَعَ دَخَلَ النَّارَ وَعُذِّبَ فِيهَا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُكَذِّبُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كَانُوا عَامِلِينَ لَوْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ هَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ – أَنَّ هَذَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَثُبُوتُهُ عَنْهُ نَصٌّ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ. فَلَا وَجْهَ لِلنِّزَاعِ أَلْبَتَّةَ مَعَ ذَلِكَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا، بَعْدَ أَنْ سَاقَ الْأَحَادِيثَ الْكَثِيرَةَ الدَّالَّةَ عَلَى عُذْرِهِمْ بِالْفَتْرَةِ وَامْتِحَانِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَادًّا عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ تَضْعِيفَ أَحَادِيثِ عُذْرِهِمْ وَامْتِحَانِهِمْ، بِأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ لَا عَمَلٍ، وَأَنَّ التَّكْلِيفَ بِدُخُولِ النَّارِ تَكْلِيفٌ بِمَا لَا يُطَاقُ وَهُوَ لَا يُمْكِنُ مَا نَصُّهُ: وَالْجَوَابُ عَمَّا قَالَ: أَنَّ أَحَادِيثَ هَذَا الْبَابِ مِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ كَمَا قَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ حَسَنٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ضَعِيفٌ يَتَقَوَّى بِالصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ. وَإِذَا كَانَتْ أَحَادِيثُ الْبَابِ الْوَاحِدِ مُتَّصِلَةً مُتَعَاضِدَةً عَلَى هَذَا النَّمَطِ، أَفَادَتِ الْحُجَّةَ عِنْدَ النَّاظِرِ فِيهَا. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، فَلَا شَكَّ أَنَّهَادَارُ جَزَاءٍ، وَلَا يُنَافِي التَّكْلِيفَ فِي عَرَصَاتِهَا قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ. كَمَا حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ امْتِحَانِ الْأَطْفَالِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ} .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا: «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ،

وَيَعُودُ ظَهْرُهُ كَالصَّفِيحَةِ الْوَاحِدَةِ طَبَقًا وَاحِدًا، كُلَّمَا أَرَادَ السُّجُودَ خَرَّ لِقَفَاهُ» (1) . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي يَكُونُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا: «أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ عُهُودَهُ

وَمَوَاثِيقَهُ أَلَّا يَسْأَلَ غَيْرَ مَا هُوَ فِيهِ، وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا بن آدم، مَا أغدرك ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» (2) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَكَيْفَ يُكَلِّفُهُمُ اللَّهُ دُخُولَ النَّارِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي وُسْعِهِمْ؟ فَلَيْسَ هَذَا بِمَانِعٍ مِنْ صِحَّةِ الْحَدِيثِ. فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ بِحَسْبِ أَعْمَالِهِمْ، كَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَمِنْهُمُ السَّاعِي، وَمِنْهُمُ الْمَاشِي، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمُ الْمَكْدُوسُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ. وَلَيْسَ مَا وَرَدَ فِي أُولَئِكَ بِأَعْظَمَ مِنْ هَذَا، بَلْ هَذَا أَطَم وَأعظم!

وَأَيْضًا: فَقَدْ ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِأَنَّ الدَّجَّالَ يَكُونُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَقَدْ أَمَرَ الشَّارِعُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُدْرِكُونَهُ أَنْ يَشْرَبَ أَحَدُهُمْ مِنَ الَّذِي يرى أنه نَار فَإِنَّهُ يَكُونُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا . فَهَذَا نَظِيرُ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى قَتَلُوا فِيمَا قِيلَ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، يَقْتُلُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ، وَهُمْ فِي عَمَايَةِ غَمَامَةٍ أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ عُقُوبَةٌ لَهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ . وَهَذَا أَيْضًا شَاقٌّ عَلَى النُّفُوسِ جِدًّا لَا يَتَقَاصَرُ عَمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ كَثِيرٍ بِلَفْظِهِ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا قَبْلَ هَذَا الْكَلَامِ بِقَلِيلٍ مَا نَصُّهُ: وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ يُمْتَحَنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عَرَصَاتِ الْمَحْشَرِ، فَمَنْ أَطَاعَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَانْكَشَفَ عِلْمُ اللَّهِ فِيهِ بِسَابِقِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ عَصَى دَخَلَ النَّارَ دَاخِرًا، وَانْكَشَفَ عِلْمُ اللَّهِ فِيهِ بِسَابِقِ الشَّقَاوَةِ
وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ كُلِّهَا، وَقَدْ صَرَّحَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَعَاضِدَةُ، الشَّاهِدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحسن عَلِيّ بن إِسْمَاعِيل الْأَشْعَرِيّ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ (الِاعْتِقَادِ) وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ مُحَقِّقِي الْعُلَمَاءِ وَالْحُفَّاظِ وَالنُّقَّادِ. انْتَهَى مَحَلُّ الْغَرَضِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ وَاضِحٌ جِدًّا فِيمَا ذَكَرْنَا.

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ وَاجِبٌ مَتَى مَا أَمْكَنَ بِلَا خِلَافٍ؛ لِأَنَّ إِعْمَالَ الدَّلِيلَيْنِ أَوْلَى مِنْ إِلْغَاءِ أَحَدِهِمَا، وَلَا وَجْهَ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ إِلَّا هَذَا الْقَوْلُ بِالْعُذْرِ وَالِامْتِحَانِ، فَمَنْ دَخَلَ النَّارَ فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَمْتَثِلْ مَا أَمَرَ بِهِ عِنْدَ ذَلِكَ الِامْتِحَانِ، وَيَتَّفِقُ بِذَلِكَ جَمِيعُ الْأَدِلَّةِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ لَا دَارُ عَمَلٍ لَا يَصِحُّ أَنْ تَرِدَ بِهِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَمَا أَوْضَحْنَاهُ فِي كِتَابِنَا (دَفْعُ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكتاب)للشنقيطى رحمه الله .

وينبغي هنا أن يعلم : أن النصوص الواردة في كفر بعض العرب، وتعذيبهم قبل البعثة، أخطأ فيها فريقان

فريق ردها بدعوى أنها أخبار آحاد، ووقائع أعيان، لا تعارض النصوص القطعية في أنه لا يعذب أحد حتى تبلغه الحجة الرسالية.

وفريق أثبتها، واستدل بها على أنهم عذبوا قبل الحجة الرسالية، بما قام عليهم من حجة الميثاق، فالفريقان مخطئان، في أنه لم تقم على هؤلاء حجة رسالية، وأخطأ الفريق الثاني بأنهم عذبوا بإقامة حجة الميثاق عليهم.

وإليك البيان، فإنه تندرج تحت هذا الفصل جملة مسائل:

الأولى : حجة الله تعالى على خلقه تقوم بالرسل، عليهم الصلاة والسلام. وأدلة هذا الأمر مستفيضة من الكتاب والسنة، وستظهر هذه الأدلة في ثنايا كلام أهل العلم؛ الذي سأنقله بعد قليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، كما في " مجموع الفتاوى" (403/2):

وتقرير الحجة في القرآن بالرسل كثير كقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)(النساء:165)،

وقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)(الإسراء:15)،

وقوله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب)(طه: 134)،

إلى قوله (وما كان ربك مهلك القرى)(القصص:59)،

وقوله (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير)(الملك:8)،

وقوله: ( )(الزمر:71)،

وقوله ( )(الأنعام: 130) .

ولهذا كان طائفة من أئمة المصنفين للسنة على الأبواب، إذا جمعوا فيها أصناف العلم، ابتدؤوها بأصل العلم والإيمان، كما ابتدأ البخاري" صحيحه" ببدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول أولا، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به ، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي، وكذلك الإمام أبو محمد الدارمي صاحب " المسند": ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، وذكر في ذلك طرفا صالحا.

انتهى

وقال ، رحمه الله في" الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (309/1-310):

وهنا أصل لا بد من اتباعه، وهو: أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب إلا من أرسل إليه رسولا، تقوم به الحجة عليه،

قال تعالى(وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه)(الإسراء: 13-15)

وقال تعالى(رسلامبشرين ومنذرين)(النساء:165)

وقال تعالى عن أهل النار (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى)(الملك 8-9)وذكر الآيات التي ذكرها سابقا، وزاد فيها

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) (المائدة: 19)

ثم قال: وإذا كان كذلك فمعلوم: أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه (لأنذركم به ومن بلغ)(الأنعام: 19) فمن بلغه بعض القرآن دون البعض، قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه. انتهى

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام، وعلم الأعلام ، قدس الله ثراه، هو مذهب أهل السنة والجماعة، لا يختلفون في ذلك، : أن الحجة على الخلق إنما تقوم بالسمع، أي: عن طريق ما جاءت به الرسل، وقد حكى هذا أبو القاسم اللالكائي في "شرح مختصر اعتقاد أهل السنة"(196/1)

حكم من لم تبلغه دعوة الرسل في الدنيا،

وهذا إما أن يكون حقيقة، أي: لا تبلغه الدعوة حقيقة : كالبالغ العاقل؛ الذي لم يسمع برسالة نبي أبدا، وإما أن لا تبلغه حكما : كالشخص غير القادر على فهم خطاب التكليف –كالصبي والمجنون والكبير المختل، والثاني وجدت أمامه دعوة الرسول واشتهرت.

ومذهب أهل السنة والجماعة: أن هؤلاء بنوعيهما يمتحنون يوم القيامة، وبذلك تقوم حجة الله بالرسل على جميع خلقه إما في الدنيا وإما في الآخرة.

قال شيخ الإسلام في "الجواب الصحيح" (312/1): ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة؛ كالأطفال، والمجانين، وأهل الفترات، فهؤلاء فيهم أقوال، أظهرها ماجاءت به الآثار: أنهم يمتحنون يوم القيامة، فيبعث إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العذاب. انتهى

وقال كما في " مجموع الفتاوى" (447/14):

ولكن لا يعذب الله أحدا حتى يبعث إليه رسولا، وكما أنه لا يعذبه، فلا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة، ولا يدخلها مشرك، ولا مستكبر عن عبادة ربه، فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة، ولا يدخل النار إلا من اتبع الشيطان ، فمن لاذنب له لا يدخل النار، ولا يعذب الله بالنار أحدا إلا بعد أن يبعث إليه رسولا، فمن لم تبلغه دعوة رسول إليه كالصغير والمجنون، والميت في الفترة المحضة، فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بهذا الآثار . انتهى

وهذه الآثار التي أشار إليها شيخ الإسلام ذكرها ابن كثير في تفسيره (في تفسير سورة الإسراء)

وقال ابن القيم، رحمه الله في" طريق الهجرتين"(702-706):

وقد جاءت بذلك أثار كثيرة يؤيد بعضها بعضا فمنها:

ما رواه الإمام أحمد في " مسنده"، والبزار أيضا بإسناد صحيح، فقال الإمام أحمد: حدثنا معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن الأحنف بن قيس، عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربعة يمتحنون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع، ورجل هرم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، أما الأصم، فيقول : رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع

شيئا، وأما الأحمق ، فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم، فيقول: رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أعقل، وأما الذي في الفترة، فيقول: رب ما أتاني رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار، فوالذي نفسي بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، قال معاذ بن هشام: وحدثني أبي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، بمثل هذا الحديث، وقال في آخره: فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما، ومن لم يدخلها رد إليها –إلى أن قال– قال الحافظ عبد الحق في حديث الأسود: قد جاء هذا الحديث، وهو صحيح فيما أعلم، والآخرة ليست دار تكليف ولا عمل، ولكن الله يخص مايشاء بما يشاء، ويكلف من يشاء ما يشاء وحيثما شاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.......

ورواه علي بن المديني، عن معاذ بنحوه، قال البيهقي: حدثنا علي بن محمد بن بشران ، أخبرنا أبو جعفر الرازي، أخبرنا حنبل بن الحسين، أخبرنا علي بن عبد الله، وقال: هذا إسناد صحيح. انتهى

ثم ذكر العلامة ابن القيم بقية مرويات الخبر ثم قال: فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا، وتشهد لها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة، نقله عنهم الأشعري، رحمه الله، في "المقالات" وغيرها.

فإن قيل: قد أنكر ابن عبد البر هذه الأحاديث، وقال : أهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب؛ لأن الآخرة ليست دار عمل ولا ابتلاء، وكيف يكلفون دخول النار، وليس في وسع المخلوقين، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها؟

فالجواب من وجوه:

أحدهما : أن أهل العلم لم يتفقوا على إنكارها، بل ولا أكثرهم، وإن أنكرها بعضهم، فقد صحح غيره بعضها، كما تقدم.

الثاني : أن أبا الحسن الأشعري حكى هذا المذهب عن أهل السنة والحديث، فدل على أنهم ذهبوا إلى موجب هذه الأحاديث.

الثالث: أن إسناد حديث الأسود أجود من كثير من الأحاديث؛ التي يحتج بها في الأحكام، ولهذا رواه الأئمة أحمد، وإسحاق، وعلي بن المديني.

الرابع : أنه قد نص جماعة من الأئمة، كعلي، على وقوع الامتحان في الدار الآخرة، وقالوا: لا ينقطع التكليف إلا بدخول دار القرار، ذكره البيهقي عن غير واحد من السلف.

الخامس : ما ثبت في " الصحيحين" من حديث أبي هريرة وأبي سعيد: في الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولا إليها؛ أن الله سبحانه وتعالى يأخذ عهوده ومواثيقه ألا يسأله غير الذي يعطيه، وأنه يخالفه ويسأله غيره، ف(يقول الله تعالى: ما أغدرك)، وهذا الغدر منه، هو: مخالفته العهد الذي عاهد ربه عليه.

السادس : قوله: وليس ذلك في وسع المخلوقين، جوابه من وجهين:

أحدهما : أن ذلك ليس تكليفا بما ليس في الوسع، وإنما تكليف بما فيه مشقة شديدة، وهو كتكليف بني إسرائيل قتل أولادهم وأزواجهم وآبائهم حين عبدوا العجل، وكتكليف المؤمنين إذا رأوا الرجل ومعه مثال الجنة والنار أن يقعوا في الذي يرونه نارا.

والثاني : أنهم لو أطاعوه ودخلوها لم يضرهم، وكانت بردا وسلاما، فلم يكلفوا بممتنع ولا بما لم يستطع.

السابع : إنه قد ثبت أنه سبحانه وتعالى يأمرهم في القيامة بالسجود، ويحول بين المنافقين، وبينه وهذا تكليف بما ليس في الوسع قطعا، فكيف ينكر التكليف بدخول النار في رأي العين، إذا كان سببا، كما قال أبو سعيد الخدري(هو أدق من الشعرة وأحد من السيف)رواه مسلم، فركوب هذا الصراط الذي هو في غاية المشقة كالنار، ولهذا كلاهما يفضي منه إلى النجاة، والله أعلم ..

الثامن : أن هذا استبعاد مجرد، لا ترد بمثله الأحاديث، والناس لهم طريقان: فمن سلك طريق المشيئة المجردة، لم يمكنه أن يستبعد هذا التكليف، ومن سلك طريق الحكمة والتعليل لم يكن معه حجة تنفي أن يكون هذا التكليف موافقا للحكم، بل الأدلة الصحيحة تدل على أنه مقتضى الحكمة كما ذكرناه. عنه، التاسع : أنه في أصح هذه الأحاديث وهو حديث الأسود؛ أنهم يعطون ربهم المواثيق ليطيعنه فيما أمرهم به، فيأمرهم أن يدخلوا نار الإمتحان، فيتركون الدخول معصية لأمره، لا بعجزهم فكيف يقال أنه ليس في الوسع؟!

فإن قيل : فالآخرة دار جزاء، وليست دار تكليف، فكيف يمتحنون في غير دار التكليف؟

فالجواب: أن التكليف إنما ينقطع بعد دخول دار القرار، وأما في البرزخ، وعرضة القيامة فلا

ينقطع، وهذا معلوم بالضرورة من الدين من وقوع التكليف بمسألة الملكين في البرزخ، وهي تكليف،

وأما في عرضة القيامة، فقال تعالى:(يوم يكشف عن ساق .....)(القلم:42)،صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذ ذاك، ويكون هذا التكليف بما لا يطاق حينئذ حسا عقوبة لهم؛ لأنهم كلفوا في الدنيا، وهم يطيقونه فلما امتنعوا منه، وهو مقدور لهم، كلفوا به، وهم لا يقدرون عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم، ولهذا قال الله تعالى: (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون)(القلم:43)، دعوا إليه في وقت حيل بينهم وبينه، كما في " الصحيح" من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء، عن أبي سعيد، رضي الله عنه، إن ناسا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟ ـ فذكر الحديث بطوله، إلى أن قال:(فيقول: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيقول المؤمنون : فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول : أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئا– مرتين أو ثلاثا– حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون : نعم،فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم) وذكر الحديث.

وهذا التكليف نظير تكليف البرزخ بالمسألة، فمن أجاب في الدنيا طوعا واختيارا أجاب في البرزخ، ولم يكن تكليفه في الحال، وهو غير قادر قبيحا، بل هو مقتضى الحكمة الإلهية؛ لأنه مكلف وقت القدرة وأبى، فإذا كلف وقت العجز، وقد حيل بينه وبين الفعل كان عقوبة له وحسرة

والمقصود : أن التكليف لا ينقطع إلا بعد دخول الجنة أو النار، وقد تقدم أن حديث الأسود بن سريع صحيح، وفيه التكليف في عرضة القيامة، فهو مطابق لما ذكرنا من النصوص الصريحة الصحيحة، فعلم أن الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة، وتأتلف به النصوص، ومقتضى الحكمة هذا القول، والله أعلم

وهذا التحقيق؛ الذي لا يدع مقالة لقائل، يقود إلى النصوص المثبتة والقاطعة والصريحة في أن بعض مشركي العرب في النار، وأنهم كانوا كفارا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم،

وهي نصوص كثيرة صريحة، ليس لها مدفع،ومن ذلك:

- قوله تعالى(وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) (آل عمران: 103)

- وقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى........)(البنية: 1-2)

- وقوله تعالى(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)(البقرة: 89)

أي: أن اليهود كانوا يستفتحون على الذين كفروا، وهم العرب ، بنبي يأتي من اليهود،

- قوله صلى الله عليه وسلم في حديث وفاة أبي طالب: أن آخر ما قال : (أنه على ملة عبد المطلب) فدل على أن عبد المطلب مات على الشرك، وذلك قبل البعثة

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان، كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي بوم الدين

- وعن أنس، رضي الله عنه، أن رجلا قال : يارسول الله، أين أبي؟ قال:(في النار)، فلما قفَّى دعاه فقال: (إن أبي وأباك في النار).

- وعن أبي هريرة، رضي الله عنه،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استأذنت ربي أن أستغفر لأمي، فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي.

- ومنها، وهو من أصرحها، ما جاء في حديث لقيط بن عامر الطويل وفيه: قال:

فقلت: يا رسول الله، هل لأحد مما مضى من خير في جاهليتهم؟ قال: فقال رجل من عرض قريش: والله، إن أباك المنتفق لفي النار، فكأنه وقع حر بين جلدي ووجهي مما قال لأبي على رؤوس الناس فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ فإذا الأخرى أجمل، فقلت: وأهلك يا رسول الله؟ قال: وأهلي، لعمر الله، ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد، يبشرك بما يسوؤك، تجر على وجهك وبطنك في النار . والذي يعنينا هنا أن هذه النصوص دالة على أن أغلب العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كفار معذبون في النار، فطعن قوم في هذه النصوص بأنها أحاديث آحاد، ووقائع أعيان لا تعارض النصوص القطعية في أنه لا يعذب أحد حتى تبلغه الحجة الرسالية، وهؤلاء لم تبلغهم،

وممن ذهب إلى هذا السيوطي، رحمه الله، وأفرط فرتب على هذا القول بنجاة أبوي النبي صلى

الله عليه وسلم من النار، ثم غلا فقال: إن الله بعثهما من موتهما فآمنا به، وصحح حديثا في ذلك عن طريق الكشف والمنام. وهذا مما عابه عليه العلماء.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيميه عن هذا كما في " مجموع الفتاوى"(324/4):

هل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله تبارك وتعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك؟

فأجاب:

لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق، وإن كان قد روي في ذلك أبو بكر – يعني: الخطيب– في كتابه" السابق واللاحق"، وذكره أبو القاسم الهيلي في " شرح السيرة" بإسناد فيه مجاهيل، وذكره أبو عبد الله القرطبي في " التذكرة" وأمثال هذه المواضع، فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات، كذبا كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث، لا في الصحيح، ولا في السنن، ولا في المسند، ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح، لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين،فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، فإنه من أعظم الأمور خرقا للعادة........ انتهى

فقد ثبت مما سبق:

أنه لا يدخل النار إلا من بلغته دعوة رسول، ولكن لا يلزم أن يكون الرسول هو: محمد صلى الله عليه وسلم، فالقول بأن مشركي العرب لم تبلغهم الحجة الرسالية ؛ لكونهم ماتوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو قول غير صحيح، فقد قامت عليهم الحجة الرسالية بدين إبراهيم، عليه السلام، وإن دخله التحريف، إلا أنه كان فيهم من يعرف التوحيد، ويحتج عليهم به، ومنهم: زيد بن عمرو بن نفيل؛ الذي كان يقول لكفار قريش: (يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري)

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد، إني لست آكل مما تذبحون على

أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكارا لذلك وإعظاما له وزيد هذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم، كما في هذا الحديث، غير أنه مات قبل البعثة، وعمل بما أمكنه معرفته من دين إبراهيم الحق، وكان كفار قريش يؤذونه على ذلك.

عُمُوم رسَالَته – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – وَوُجُوب الْإِيمَان بِهِ.

[قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ} صَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذِرٌ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَيُفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْإِنْذَارَ بِهِ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَهُوَ كَذَلِكَ.

أَمَّا عُمُومُ إِنْذَارِهِ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ، فَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتٌ أُخَرُ أَيْضا كَقَوْلِه {قُلْ ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ، وَقَوْلِهِ {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ} ، وَقَوْلِهِ {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} .

وَأَمَّا دُخُولُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ النَّارَ، فَقَدْ صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} .

وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَهُ حُكْمُ أَهْلِ الْفَتْرَةِ الَّذِينَ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.] .

حكم أهل الفترة

بحث الشيخ الأمين –رحمه الله– هذه المسألة عند قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} ؛ فذكر فيها قولين لأهل العلم مع أدلتهم من الكتاب والسنة. ثمّ ناقش هذين القولين، وجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض، ورجح –رحمه الله– ما يقتضي الدليل رجحانه.

أما القول الأول في هذه المسألة فهو: "أنّ كلّ من مات على الكفر فهو في النار، ولو لم يأته نذير. واستدلوا بظواهر آيات من كتاب الله، وبأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

فمن الآيات: قوله تعالى: {وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}

وقوله: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}

وقوله: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} الآية

وقوله: {قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

وظاهر جميع هذه الآيات العموم؛ لأنها لم تخصص كافرا دون كافر، بل ظاهرها شمول جميع الكفار".

ومن الأحاديث التي ذكرها الشيخ الأمين –رحمه الله– مدللا بها للقول الأول: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس أنّ رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: "في النار". فلما مضى دعاه فقال: "إنّ أبي وأباك في النار".

ولمسلم أيضا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي".

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على عدم عذر المشركين.

والقول الثاني: قالت جماعة من أهل العلم: إنّ أهل الفترة معذورون بأنهم لم يأتهم نذير، ولو ماتوا على الكفر.

واستدلوا بقوله تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} 7؛ فصرح في هذه الآية الكريمة بأنه لابدّ أن يقطع حجة كلّ أحد بإرسال الرسل مبشرين من أطاعهم بالجنة، ومنذرين من عصاهم بالنار. وقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} 1، وقال تعالى: {وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 2، وقوله جل وعلا: {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} 3، وقوله: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ} الآية4. وقوله: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ} الآية5، وقوله تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} الآية6.

وقد عرض الشيخ الأمين –رحمه الله– مناقشة كلّ طرف للآخر، وما يحتج به أحدهما على الآخر، وأطال في إيراد ذلك7.

ثمّ ذكر ما ترجح لديه في هذه المسألة فقال: "والذي يظهر رجحانه بالدليل هو الجمع بين الأدلة؛ لأن الجمع واجب إذا أمكن بلا خلاف. ووجه الجمع بين هذه الأدلة هو عذرهم بالفترة، وامتحانهم يوم القيامة بالأمر باقتحام نار؛ فمن اقتحمها دخل الجنة؛ وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا. ومن امتنع عذب بالنار؛ وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا؛ لأنّ الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل.

وبهذا الجمع تتفق الأدلة: فيكون أهل الفترة معذورين، وقوم منهم من أهل النار بعد الامتحان، وقوم منهم من أهل الجنة بعده أيضا.

ويحمل كلّ واحد من القولين على بعض منهم علم الله مصيرهم وأعلم به نبيه صلى الله عليه وسلم فيزول التعارض"1.

ثمّ ذكر –رحمه الله– أنه رجح هذا القول لأمرين:

الأول: أنّ هذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وثبوته عنه نص في محل النزاع، فلا وجه للنزاع البتة مع ذلك. قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله تعالى– في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها، بعد أن ساق الأحاديث الكثيرة الدالة على عذرهم بالفترة، وامتحانهم يوم القيامة، رادا على ابن عبد البر تضعيف أحاديث عذرهم، وامتحانهم؛ بأنّ الآخرة دار جزاء لا عمل، وأنّ التكليف بدخول النار تكليف بما لايطاق، وهو لايمكن، ما نصه: والجواب عما قال أنّ أحاديث هذا الباب منها ماهو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء. ومنها ماهو حسن. ومنها ماهو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن. وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة

متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها" أضواء البيان 482/3. وانظر تفسير ابن كثير 31/3.

أما المرجح الثاني: فقال –رحمه الله–: "إنّ الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف؛ لأنّ إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان. فمن دخل النار فهو الذي لم يمتثل ما أمر به عند ذلك الامتحان، ويتفق بذلك جميع الأدلة. والعلم عند الله تعالى"2.

ونقل –رحمه الله– عن الحافظ ابن كثير ما يؤيد ما ذهب إليه فقال: "وقال ابن كثير رحمه الله تعالى ... ما نصه: ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات؛ فمن أطاع دخل الجنة. وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة. وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها. وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض. وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد1"2.

وممن قال بعذر أهل الفترة: شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– حيث قال: "لا يهلكهم الله

ويعذبهم حتى يرسل إليهم رسولا". وقد رويت آثار متعددة من أن من لم تبلغه الرسالة في الدنيا فإنه يبعث إليه رسول يوم القيامة في عرصات القيامة"3.

وقال ابن كثير في المجلد الأول من " البداية والنهاية " (2) في ذكر يأجوج ومأجوج ما لفظه: فإن قيل: [فكيف] دلَّ الحديث المتفق عليه أنهم فداءٌ للمؤمنين يوم القيامة، وأنهم في النار، ولم يُبعثْ إليهم رسلٌ، وقد قال الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15].

فالجواب: أنهم لا يُعَذَّبُون إلاَّ بعد قيام الحجة عليهم والإعذار إليهم، فإن كان قد أتتهم رسل، فقد قامت الحجة عليهم وإلا فهم في حكم أهل الفترة ومن لم تبلُغْهُ الدعوة، وقد دلَّ الحديث المروي من طُرُقٍ عن جماعةٍ من الصحابة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن من كان كذلك يُمْتَحَنُ في عرصات يوم القيامة، فمن أجاب الداعي، دخل الجنة، ومن أبى، دخل النار، وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام الأئمة عليه عند قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15] (4)، وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري إجماعاً عن أهل السنة والجماعة. انتهى.

وفيه ما ترى من تنزيه الله من التعذيب من غير حُجَّةٍ ولا إعذار، وابنُ كثير والأشعري من أئمة أهل السنة والكلام منهم.

فَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ أَهْلَ الْفَتْرَةِ مُعَذَّبُونَ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِذَا اتَّبَعُوا مَنِ اخْتَرَعَ مِنْهُمْ، فَالْمُتَّبِعُونَ لِلْمُبْتَدِعِ إِذَا لَمْ يَجِدُوا مُحِقًّا مُؤَاخَذُونَ أَيْضًا. وَإِنْ قُلْنَا: لَا يُعَذَّبُونَ حَتَّى يُبْعَثَ لَهُمُ الرَّسُولُ وَإِنْ عَمِلُوا بِالْكُفْرِ فَهَؤُلَاءِ لَا يُؤْخَذُونَ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُحِقٌّ، فَإِذْ ذَاكَ يُؤَاخَذُونَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ مَعَهُ بَيْنَ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَتَّبِعُوهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ فَيَتْرُكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ. وَإِمَّا أَنْ لَا يَتَّبِعُوهُ فَلَا بُدَّ مِنْ عِنَادٍ مَا وَتَعَصُّبٍ فَيَدْخُلُونَ إِذْ ذَاكَ تَحْتَ عِبَارَةِ (أَهْلِ الْأَهْوَاءِ) فَيَأْثَمُونَ.

قد دلت الآيات الصريحة من كتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه مبعوث إِلَى النَّاس كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً [سبأ:28] ، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُول لُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً [الأعراف:158] ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [الأنعام:19] وهذا يؤيده ويوضحه قوله

صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يَسْمَعُ بي رَجُلٌ من هذه الأمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصرَانِيٌّ ثُمَّ لا يُؤمِنُ بي إلا دَخَلَ النَّار) .

فالأمر يعود إِلَى شيء واحد وهو البلاغ، فمن سمع عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن دعوته، فلا عذر له عَلَى الإطلاق؛ لأنه لم يتبعه ولم يؤمن برسالته ويهتدي بهديه ويدخل في دينه، ولكن الذي لم تبلغه لدعوة، فله حكم أهل الفترة، وأمره إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأهل الفترة هم في النهاية إما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار، فإن كانوا من أهل الجنة فما تقربوا به إلى الله سبحانه وتعالى يحسب لهم إذا امتحنوا يوم القيامة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به؛ فإنه يتقبل منهم ما مضى من أعمالهم؛ لأنه لم تكن قد قامت عليهم الحجة في الماضي.

وإن كانوا من أهل النار فلم ينجحوا في الامتحان الأخروي، فإنه لا يتقبل منهم، إنما يتقبل الله من المتقين.

ونفس الشيء يكون للذين لم تبلغهم الدعوة من أهل الفترة، فتقام عليهم الحجة يوم القيامة بالامتحان، حيث يمتحنهم الله ببعثة النبي إليهم، ومن علم الله فيه الخير وفقه لتصديقه ومن علم فيه غير ذلك –نسأل الله السلامة والعافية– حجبه عن ذلك.

ومن مات مؤمناً فإن الله يغفر له، ولا يكون الاستغفار ممتنعاً، أما زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأمه فإنها كانت بطريقه بالحجون بمكة، أما أبوه فقد دفن بالشام، فكيف أحياه له؟!

ولو كان أبواه مؤمنين لكانا أحق بالشهرة من عميه الحمزة والعباس، والله تعالى أعلم.

من لم تبلغه الدعوة وبقي على حين غفلة وجاهلية

أما القسم الثاني من أقسام أهل الفترة فهو من لم تبلغه الدعوة أصلاً، وبقي على حين غفلة وجاهلية، وأكثر أهل الجاهلية هم من هذا النوع، قال الله تعالى: {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس:6]، والأصل في أهل الجاهلية أنهم كانوا من هذا النوع، أي: من أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة وبقوا في غفلتهم سادرين، ويقول الله تبارك وتعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة:3]، وقال تعالى: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ

قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص:46]، فهذا القسم هو محل نزاع بين العلماء، فمنهم من قال: إن من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً.

ومنهم من قال: من مات ولم تبلغه الدعوة فهو في النار.

ومنهم من قال: من مات ولم تبلغه الدعوة يمتحن بنار في عرصات يوم القيامة.

الشرك الذي هو مناقض للا إله إلا الله، فلا عذر بالجهل أبداً، لا يُعذر بالجهل، لماذا؟ لأننا نقول: التوحيد وجودٌ، إثبات فإذا كان كذلك حينئذٍ لابد من تحقيق شروط لا إله إلا الله، وإذا وقع في الشرك حينئذٍ هل وجد شرط العلم بلا إله إلا الله، لا وجود انتفى؛ لأن هذه الشروط السبع أو الثمان شروط لتحقيق وإيجاد لا إله إلا الله، ووجود لا إله إلا الله ليس لفظاً، بل هو معنى وعمل، ، فحينئذٍ إذا وجدت لفظاً ووُجد ناقضٌ لها، فحينئذٍ نقول: وجودها وعدمها سواء، فلا يلتفت إلى القول مع وجود ناقض من نواقض التوحيد، وأما إذا لم تصله الدعوة، قد يقال: بأنه لم تصله الدعوة، إذا فُرض، هذا محال هذا الأمر، فحينئذٍ يقال: حكمه في الدنيا أنه تنزلُ عليه أحكام أهل الشرك، وأما في الآخرة فأمره إلى الله، وهذا نقل ابن القيم ـ رحمه الله ـ الإجماع عليه في مسألة أهل الفترة، ما حكمهم؟ أهل الفترة هم يصورونها بأمر يعني يكاد أن يكون خيال، قومٌ من الناس لم يدركوا النبي السابق ولا النبي اللاحق، فهم بمنزلة بين منزلتين، لم يدركوا الأول ولا أدركهم الثاني، سموا ماذا؟ أهل الفترة .. أهل الفترة، يعني أهل الانقطاع، {عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ} [المائدة19] يعني على انقطاع من الرسل، ما حكمهم هؤلاء؟ هؤلاء الأصل فيهم أنهم ماذا؟ أنهم يرجعون إلى عقولهم، وإذا رجعوا إلى عقولهم السالمة عن العوارض، حينئذٍ رجعوا إلى التوحيد، وإلى الحنيفية السمحة؛ لأن العقل إذا جرد عن غيره، فحينئذٍ نقول: العقل يدل على التوحيد، وهو من أدلة التوحيد، وإن لم تحصل به الحجة على الخلق، فإذا وقع في الشرك ولم يكن ثم رسول فقد قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء15] ابن القيم يحكي الإجماع أنه لو وُجد ميت بهذه الصفة لا يُحكم له بأحكام أهل الإسلام، لا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُصلّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، لكن الكلام في الدنيا تنزّل عليه أحكام الكفار، حينئذٍ نبقى على الأصل، فالأصل في الكافر أنه كافر؛ لأنه يقين، واليقين لا يزول بالشك ولا بالتردد ولا بالشائعات ولا بالأقاويل ولا بالرؤى ولا مثل هذه الأمور وآراء وأهواء. نقول: الأصل أنه يبقى كافر على

كفره، ويُحكم بخاتمته على حسب حياته، وما عدا ذلك ليس الأمر إلينا، كذلك أهل الفترة، فما كان في الدنيا يُنزّل عليه أحكام أهل الكفر، إن كان متلبسًا بِ بالشرك، وإن لم يكن كذلك، فحينئذٍ حكمه حكم أهل الإسلام، فلا يلتبس عليكم مثل هذه المسائل.

حكم أهل الفترة قبل البعثة

أهل الفترة قبل البعثة من الذين بلغتهم نذارة الرسل فلا يعذر بالجهل من مات منهم على الكفر ، وقد دلت أحاديث كثيرة على ذلك منها حديث عائشة رضي الله عنها ، فعنها قالت: قلت: يا رسول الله ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال:(لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[14] ، وعن زيد بن ثابت قال بينما النبي r في حائط لبني النجار على بغلة له ،ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة قال كذا كان يقول الجريري فقال من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا قال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا في الإشراك فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ثم أقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال . رواه مسلم . وعن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال:" في النار " فلما قفا دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار[15].

فدلت الأحاديث أن أهل الفترة قبل البعثة لايعذرون بجهلهم ومن كان قبل البعثة لاشك أنه من أهل الفترة قال تعالى: [بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ][16]والمراد بالقوم أهل الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله ابن عباس ومقاتل[17].

لكن أهل الفترة قبل البعثة ليسوا بمعذورين ؛ لأن دعوة إبراهيم عليه السلام كانت قد بلغتهم بالجمع بين هذه الأدلة ،وأدلة العذر بالجهل حتى لايكون هناك تناقض ،والإعمال خير من الإهمال أى إعمال دلالة النصوص خير من إهمالها ، والمتأمل فيما استدل به الذين لايعذرون بالجهل يرى ذلك فقول النبي:" لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين " فيه دليل أن دعوة الرسل قد بلغته ،وإن كان من أهل الفترة فنذارة الرسل قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وبخاصة إبراهيم عليه السلام ـ قد بلغته؛ لأن هذه الكلمات التي ألزمه بها النبي صلى الله عليه وسلم وعلل عذابه بسبب أنه لم يقلها لا يمكن لابن جدعان أن يعرفها إلا

عن طريق الرسل. و كان ينبغي أن يقول تلك الكلمات وأمثالها .. لكنه أبى وأعرض واستكبر .. فحق عليه العذاب بسبب ذلك .وقد جاء في السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان قد فارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءدة، وقد بادى قومه بعيب ما هم عليه. وكان يقول: يا معشر قريش، والذي نفسي زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته[18] فحجتنا قوله تعالى:] وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا[[19] فأهل الجاهلية الذين ماتوا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام معذبون بشركهم وكفرهم، وذلك يدل على أنهم ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة نبي ، إذ لو كانوا كذلك لما استحقوا العذاب

. لاعذر بالجهل للقادر المتمكن من العلم

فأهل الفترة الذين هم أحوج ما يكونون إلى العذر بالجهل, فكيف بمن وُجد في عهد المسلمين مع وجود مسائل إيصال العلم ونحو ذلك, ثم بعضهم قد يكابر أو أنه يعاند ويقف مع دعوة شيوخه من الصوفية وغيره, هذا لا شك أنه لا يُعذَر البتة.

إذا القاعدة: من وقع في الشرك الأكبر فهو مشرك, سواء أن كان عالماً أم جاهلاُ معانداً أم غير معاندٍ, بل قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: لا يُتصَوَّر أنه يوجَد كافر وهو قاصد لـ .. للكفر أو أنه معاند, يعلم أنه على كفر أو أن هذا كفر ويقصده؟! هذا لا وجود له, بل كل من وقع في الشرك فإنما أراد الخير وأراد ما عند الله عز وجل, وهؤلاء المشركون حكا الله عز وجل أنهم قالوا {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ} إذاً أرادوا ماذا؟ أرادوا ما عند الله عز وجل, لكنهم رجعوا إلى عقولهم فأفسدوا دينهم.

وهؤلاء الذين كانوا في هذه الفترة ليسوا مجبورين على أفعالهم، وهم أنواع: نوع منهم اتبع الأنبياء، ولم يقبل عقائد المشركين.

ونوع قبل التغييرات التي أحدثها بعض المشركين.

فهم كانوا يعرفون أن هذا البيت لله، وأن الذي بناه إبراهيم، وأن الحنيفية ملة إبراهيم، ومع هذا يشركون في عبادة الله عز وجل، وهكذا كان النصارى واليهود يحرفون كتابهم، وكان منهم طوائف مسلمون لكنهم قلة، حتى أن بعضهم حصرهم في طائفة واحدة، وهم أتباع آريوس الذي كان من دعاة التوحيد لكنه حورب من الدولة الرومانية في تلك الفترة.

.يقول الحازمى (القبوريين، يعني: مشركين، إذا قيل: هؤلاء قبوريون. يعني: عباد للقبور، فهم قد فعلوا ما فعل أسلافهم، أولئك منهم من سجد للصنم، ومنهم من تقرب، أو عبد الشمس، ومنهم من عبد الأشجار والأحجار ... إلى آخره، هؤلاء فعلوا مثلهم، حينئذٍ الوصف واحد وهو عين الشرك تشريك غير الله مع الله حينئذٍ لزم منه ماذا؟ إثبات الحكم، فالوصف هو الوصف، حينئذٍ هؤلاء مشركون الذين يعبدون القبور الآن هم مشركون بإجماع السلف، ومحاولة إعذارهم بالجهل هذا قول باطل.

أولاً: مخالف للإجماع.

ثانيًا: قولٌ محدثٌ في الإسلام.

ثالثًا: فيه تناقض كبير، لماذا؟ لأنه كيف يُدَّعَى بأنهم مسلمون موحدون ومع ذلك قد أقاموا الشرك، فيعترف بأن أو يقال لمن قال بأنهم مسلمون: هذا الذي فعلوه هل هو توحيد أو شرك؟ هل هذا الذي يفعلونه من الذبح عند القبور ومن التبرك بالقبور والاستغاثة بها ونحوها هل هذا توحيد أم شرك؟ إن قال: شرك. ولا بد أن يقول بأنه شرك، هل يجامع الشرك الإخلاص لله عز وجل؟ هل يمكن أن يوجد توحيد بدون إخلاص؟ هل تصح لا إله إلا الله دون شرطها وهو: الإخلاص؟ هل تصح لا إله إلا الله مع اعتقاد معناها لا معبود بحق إلا الله وهو يذبح لغير الله؟ هل يجتمع هذا وذاك؟ هذا تناقض، لا يمكن أن يقول بأنهم موحدون البتة، ولذلك على القول بوجود أهل الفترة ابن القيم رحمه الله تعالى يحكي الإجماع، بعضهم يأخذ من الأقوال ما يريد ويترك ما لا يريد، فيقيسون المسألة على أهل الفترة، ويتركون تنصيص ابن القيم رحمه الله تعالى يأخذون من طبقات المكلفين ويتركون هذا النص، ابن القيم رحمه الله تعالى لما ذكر أهل الفترة قال: والخلاف في الآخرة هل يمتحنون أم لا؟

وأما في الدنيا فأجمع السلف على أنهم مشركون تنزل عليهم أحكام المشركين، فلا يُغسلون، ولا يُكفنون، ولا يُصلى عليهم، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين، وكذلك لا يرثون ولا يُورَّثُون.

إذًا في الدنيا هم مشركون، أما في الآخرة ما كلفنا الله عز وجل أن نبحث عن الناس هل يدخلون الجنة أم النار؟ إلا من شهد الله عز وجل أو الرسول – صلى الله عليه وسلم – بجنة أو نار، وأما من عاداهم ما كلفنا الله عز وجل، وإنما نحن مكلفون عن أولئك الأقوام الذين يفعلون هذا الشرك، هؤلاء حكمهم في الشريعة أنهم مشركون، وهذا محل إجماع بين السلف، وأنهم لا يعذرون بالجهل البتة، والعلم موجود، بل دعوى العذر بالجهل هذه لم تنضبط، فمراد من قال بالعذر بالجهل أنه لو سعى وبذل ما في وسعه وسافر ورحل لم يجد من يعلمه، هذا المراد بالجهل، المراد بأنه يعذر بالجهل لو فعل الشرك، أو البدعة، أو ما هو دون ذلك، لو بذل، وسافر، ورحل، واتصل، وسأل ... إلى آخره لم يجد من يعلمه، هذا الذي يقال بأنه جاهل، وأما الذي يوجد عنده وسائل الوصول إلى أهل العلم، بل توجد الكتب بين يديه، ولا يسأل ولا يبحث هذا ليس لا يسمى في الشرع جاهلاً، وإنما يسمى معرضًا، هذا معرض

وليس بجاهل، حينئذٍ كيف ينزل الحكم الجهل إن قيل به على المعرضين؟ ففرق بين المسألتين...

ما مذهب أهل السنة والجماعة في أهل الفترة الذين ماتوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

الجواب

أهل الفترة الله أعلم بهم وهو الذي يحاسبهم، ولكن جاءت النصوص في أن بعض أهل الفترة بلغتهم الدعوة، فمن بلغتهم الدعوة فإنهم يؤاخذون، ومن ذلك ما جاء أن عبد الله بن جدعان قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن له جفنة كبيرة يطعم منها الحجاج، فهل ينفعه ذلك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي: أنه أنكر البعث.

وجاء في قصة الرجل الذي سأله: أين أبي؟ قال: (في النار فلما ولى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار) فدل على أنه قد قامت عليه الحجة، وكذلك والد النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما والدة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في صحيح مسلم وفي مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (استأذنت ربي في أن أزور قبر أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي)، فزار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، ولم يأذن الله له بالاستغفار لأمه، وأمه عليه الصلاة والسلام ماتت في الفترة، فيحتمل أنها بلغتها الدعوة ويحتمل أنها لم تبلغها الدعوة.

وجاءت أحاديث في أهل الفترة بعضها صحيح وأكثرها ضعيفة لكن يشد بعضها بعضاً، وقد أخذ بها شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم في أنهم يمتحنون يوم القيامة، وجاء في بعض الأحاديث أنه يؤتى بالشيخ الكبير والهرم والأصم من أهل الفترة، وأنه يخرج لهم عنق من النار، فيقال: رِدُوها.

فمن وردها صارت عليه برداً وسلاماً، ومن امتنع فإنه يكون عاصياً، فهذه الأحاديث فيها دليل على أن من لم تبلغه الدعوة يمتحن يوم القيامة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، والله تعالى له الحكمة البالغة، وهو الحكم العدل سبحانه وتعالى.

كيف نرد على من يقول: من نشأ في مجتمع كافر ولم يسمع قط بالإسلام، ولم ير مسلماً، ولم يسمع شيئاً من أمر هذا الدين، إلا الدين الذي رباه عليه أبواه، فليس عليه ذنب؛ لأنه لم تقم عليه الحجة؟

الجواب

هذا إذا وجد فظاهر النصوص أنه يكون من أهل الفترة، فإذا مات على ذلك فإنه يعامل معاملة المشركين في الدنيا، فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم، وأمره في الآخرة إلى الله.

وقد اختلف العلماء في أهل الفترات الذين لم تبلغهم الدعوة فلم يعملوا شيئاً، فذكر شيخ الإسلام وابن القيم في آخر كتاب طريق الهجرتين أقوالاً، لكن اختاروا أنهم يمتحنون يوم القيامة، وجاءت في هذه المسألة أدلة وأحاديث كثيرة لا تخلوا من ضعف من ناحية الأسانيد، وفيها أنه يؤتى بالشيخ الكبير والهرم والفاني ومن لم تبلغه الدعوة ويوقفون بين يدي الله، وأنه يخرج لهم عنق من النار، فيقال لهم: ادخلوها، فمن وردها صارت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يردها فقد عصى، جاءت بهذا المعنى أحاديث كثيرة لكنها لا تخلوا من ضعف، ويبدوا أنها بمجموعها يشد بعضها بعضاً، ولهذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أن أهل الفترة يمتحنون أخذاً بهذه النصوص، والأصل في هذا قول الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]

أظن أن العوام في العصر الحاضر قد بلغتهم الدعوة، فمن بلغتهم الدعوة وبلغتهم الحجة وبلغهم القرآن والسنة فلا يعذرون، إنما الذي يعذر في هذا من لم تبلغه الحجة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، وقد بعث الرسول، وقال سبحانه: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام:19]، فمن بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار)، فمن قامت عليه الحجة وبلغه الدليل لا يكون معذوراً، ولا يشترط فهم الحجة، بل يكفي بلوغ الحجة، أن يعرف أن هذا دليل على هذا الشيء، لكن قال بعض أهل العلم: إنه لو وجد بعض الناس ممن اشتبه عليه الأمر ولبس

عليه الحق ولم يعرف الحق بسبب تغطية الحق عليه وسيطرة أهل الضلال وأهل الشرك عليه، حتى أفهموه أن هذا الباطل هو الحق، فإنه يكون حكمه حكم أهل الفترة، ويكون أمره إلى الله عز وجل، ولكنه إذا مات على هذه الحالة، لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم ولا يدعى له وعلى كل حال فإن من بلغته الدعوة وبلغه القرآن وبلغته السنة، وعلم أن هذا الأمر محرم لا يكون معذوراً، والآن بلغت دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، لكن كون بعض المشركين يصم أذنه عن سماع الحق ولا يقبل الحق ويرد الحق ليس عذراً له، فيجب على الإنسان أن يتعرف على الحق ويطلب الحق ويسأل عن الحق ويسأل عن دينه، فكما أنه يسعى في أمور دنياه في كسبه ومعاشه وبيعه وشرائه، كذلك يجب عليه أن يتعلم دينه، وأن يسأل عما أشكل عليه، وأن يبحث عن الحق، وإذا كان لا يعرف الحق فهو معذور، وإذا كان يستطيع أن يعرف الحق ويستطيع أن يسأل فلم يسأل فلا يكون معذوراً.

والتحقيق في شأن أهل الفترة: أنهم يوم القيامة يختبرون، كما ثبت في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث يضعفه بعض العلماء لكنه بمجموع الطرق يكون حسنًا، وهو: أن الله عز وجل يخرج لهم يوم القيامة عنقًا من نار، ثم يأمرهم بالدخول فيها، فمن دخل فيها طاعة لله عز وجل فإنه يدخل الجنة، ومن عصاه وأبى الدخول فيها فإنه يكون من أهل النار، وهذا هو التكليف الذي أراده الله عز وجل لهم، وهذا من حكمته سبحانه وتعالى.

ليس المقصود بأهل الفترة من لم يبعث فيهم رسول بالمرة، فما من أمة إلا جاءها رسول، والفترة التي حصلت من عهد إبراهيم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام، وكان المشركون يظنون أنهم على الحنيفية وكانوا ينتسبون إلى إبراهيم، ولهذا فقد كانوا يحجون إلى البيت، وكانوا يطوفون بالحرم، وكانوا يذهبون إلى منى وعرفات ويرمون الجمار، فهم كانوا على طريقة إبراهيم العامة، إلا أنهم بدلوها وحرفوها وأدخلوا الشرك فيها، وأول من جاء بالشرك وعبادة الأصنام إلى العرب هو عمرو بن لحي الخزاعي الذي جاء بهبل عندما وجد بعض الشاميين يعبدون الأصنام فاشترى منهم صنماً فجاء به إلى مكة وعبدوه، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه يجر قصبه في نار جهنم والعياذ بالله.

الحكمة من خلق الخلق تقطع عذر المشرك

يقول الحازمي :الحكمة من الخلق عبادة الرب جل وعلا، قال سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

إذًا لم أخلق الخلق من الجن والإنس إلا لحكمة واحدة وهي عبادتي وإفرادي بالتوحيد، وهؤلاء القوم إذا جوزنا أنهم وُجدوا ثم لم يأتوا بالحكمة التي خُلقوا من أجلها، هل يكون هذا منافيًا للنص أو موافقًا؟

إذا وُجِدَ قوم ولم يعبدوا الله لم يرسل إليهم رسول ولم يعرفوا الله تعالى، حينئذٍ قالوا: هؤلاء أهل فترة، يعني: انقطاع عن الرسل لم يصل إليهم أي رسول، نقول: هذا إذا أثبتناه هل يتعارض مع ظاهر قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. الظاهر أنه منافي له، لأن الآية دلت على أنه ما من إنس يوجد في هذه الحياة إلا والحكمة منه من خلقه وإيجاده تحقيق العبادة لله عز وجل حينئذٍ سيُرسل الرب جل وعلا من يبلغه هذه العبادة لأننا قرنا أمرين من الآية {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} هذه العبادة ليست عقلية وليست بأمور عرفية ولا بهوى وتقاليد ونحو ذلك وإنما مبناها على الوحي والذي يأتي بالوحي من؟ الرسل، حينئذٍ إذا أمروا بالعبادة تعين أن يُرسل إليهم رسل، فإذا جوز وجود قوم بدون عبادة وبدون رسل، نقول: هذا منازع ومنافٍ لظاهر هذه الآية، ثم النصوص القطعية {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ} عام فيحتاج إلى مخصص لإخراج بعض القوم الذين لم يرسل إليهم رسل، {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: 24] أعلى صيغ العموم بل هو صريح ونص في العموم وبعض الأصوليين يرى أن هذا النوع لا يمكن تخصيصه، لأنه مناقض لأصل الزيادة {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ} إن شرطية، {مِنْ} زائدة، {أُمَّةٍ} هذه ليست شرطية إن هذه نافية بمنزلة ما {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا} لوجود إلا نحكم بأن إن هذه نافية وليست بشرطية، إذًا نكرة في سياق النفي وزيدت عليها مِنْ فهو نص في العموم، وإذا كان كذلك حينئذٍ لا يمكن العدول عن ظاهره إلا بنص واضح بين، إذا جوزنا ماذا؟ التخصيص في مثل هذه المواضع، {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} فإثبات أمة لا نذير فيها الذي هو حقيقة أهل الفترة نقول: هذا معارض لهذا النص.

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165]

أنواع المواثيق ثلاثة:

الميثاق الذي أُخِذَ من ظهر آدم عليه السلام.

ثم ميثاق الفترة. وهذان لا يعتبران حجة على الخلق.

ثم الميثاق الثالث: وهو الرسل والأنبياء. حينئذٍ كيف يحتج بأن لا يكون للناس حجة إذًا أهل الفترة لهم حجة أو لا؟

لهم حجة، لأن الله تعالى لم يرسل إليهم الرسل، فالظاهر والله أعلم عدم وجود ما يسمى بأهل الفترة، وإن كان أكثر الفقهاء على ذلك، وأما ما ورد من الأصم والأعمى ونحو ذلك والمجنون الأخرق، هذا قد يُستثنى هو كأفراد، وأما الكلام على قوم أمة قرية مدينة لم يُرسل إليهم رسول نقول: هذا إثباته مخالف لقواطع الكتاب والسنة، ولا يُمكن التخصيص إلا بدليل واضح بين، والحديث المذكور هذا مختلف فيه، أحسن أحواله بأن يقال بأنه حسن لغيره، ومثل هذا لا يصلح أن يكون مخصصًا لمثل هذه القواطع.

إذًا نأخذ من هذه الجملة (أرسله الله إلى أناس) من صفتهم أنهم ... (يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله)

الرد على من قال [بأن أهل قريش] بأن قريش والعرب آنذاك أهل فترة نرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: عدم التسليم بوجود ما يسمى بأهل الفترة.

ثانيًا: ثبت بالنقل التاريخي أن أولئك الأقوام لهم عبادات كثيرة جدًا، منها ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى،وأهل الفترة هم الذين – إذا سلمنا بوجودهم – هم الذين لم يدركوا الأول الرسول السابق ولم يدركهم الثاني الرسول اللاحق، حينئذٍ وقعوا بين رسولين الرسول الأول إبراهيم عليه السلام لم يدركوه ولم يدركوا شيئًا من شريعته أبدًا لا قليل ولا كثير، ولم يدركهم النبي – صلى الله عليه وسلم – محمد عليه الصلاة والسلام، بل ماتوا قبل بعثته وإرساله، هؤلاء هم أهل الفترة، ولكن وجدنا أن هؤلاء المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وجدناهم أصحاب عبادة، وهذه العبادة هي مما جاء به إبراهيم عليه السلام، ووجدنا أنهم يرتبطون ويرفعون راية ماذا؟ اتصالهم بملة إبراهيم عليه السلام، بل حتى اليهود والنصارى كانوا ينتسبون إلى ملة إبراهيم عليه السلام، فجدد لهم النبي – صلى الله عليه وسلم

– دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب إلى الوسائط والاعتقاد محض حق الله خالص حق الله تعالى، لا يمكن أن يصرف شيء من العبادة لغير الله جل وعلا، بأي حجة كانت، وأيًّا كان ذلك الذي صُرِفَتْ له العبادة سواء كانوا ملائكة أو كانوا أنبياء أو رسل أو صالحين، لأن العبادة هذا حق محض الله جل وعلا أو محض حق الله تعالى فلا يجوز صرفه لغير الله سبحانه.

فرق بين الأسماء وبين الأحكام، فرق بين الاسم وبين الحكم، كل من وقع في الشرك فهو مشرك، كل من وقع في الكفر وكان معلومًا من الدين بالضرورة فهو كافر هذا قطعًا، ثم في الدنيا يعامل معاملة الكفار يعني: لا يصلى عليه. هذا في الكافر المرتد، الأصلي ليس داخل معنا يعني: الذي نشأ في بلاد الإسلام ثم وقع في الشرك ذبح لغير الله مثل الموجود الآن هؤلاء مشركون نحكم عليهم بأنهم مشركون هذا قطعًا محل وفاق، ليس بالمسألة خلاف، ثم يعاملون في الدنيا معاملة الكفار لا يصلى عليهم لا يُورَّثُون ولا يَرِثُون ... إلى آخره كأنه كافر، وأما في الآخرة كونه في النار أو لا، حينئذٍ هل بلغته الحجة أم لا؟ إن كان بلغه الإسلام وسمع بالإسلام حينئذٍ هو كافر مشرك في الدنيا وفي الآخرة، وإن لم يكن كذلك وعلى قول الكثيرين بإثبات أهل الفترة الذين لم يبلغهم التوحيد فهو: كافر في الدنيا، مشرك في الدنيا تقام عليه أحكام الكفار والمشركين وأما في الآخرة فمرده إلى الله عز وجل، لا نحكم له بجنة ولا نار، هذا التفصيل هو الصحيح في المسألة هذا على إثبات أهل الفترة وأنهم موجودون.

س: المقلد هل تنفعه لا إله إلا الله مع عدم معرفة معناها؟

ج: لا، إذا عرف معناها هنا الكلام، حينئذٍ تقليده في التوحيد صحيح، وأما إذا لم يعرف معناها قلنا: هذا ما تنفعه في الأصل، لأنه لا بد أن يقع فيه، التوحيد والشرك نقيضان إذا انتفى أحدهما وُجِدَ الآخر، يعني: لا تتصور أنه إذا ما عرف معنى التوحيد ما عرف معنى لا إله إلا الله ولا عرف معنى الشرك أنه يسلم من الشرك، لا، لا بد أنه وقع في الشرك، قد يكون شيئًا عمليًّا، قد يكون أمرًا قلبيًّا، قد يكون باللسان .. إلى آخره، فهما نقيضان لا بد من وجود أحدهما، إذا وُجِدَ التوحيد بكماله أصلاً وفرعًا انتفى الشرك بكماله، وإذا وجد انتفى التوحيد من أصله لا بد وأن يكون مشركًا، لا تضع في ذهنك أنه يمكن أن يكون لا مشرك ولا كافر ولكن موحد، لا، ليس عندنا منزلة بين منزلتين، موحد مشرك، لا موحد ولا

مشرك، هذا ليس له وجود، إذا انتفى عنه التوحيد معنى لا إله إلا الله ولم يأت بمقتضاها لا بد وأنه قد وقع في الشرك. انتبه لهذا.

مسألة الخلاف في أهل الفترة هل يعذرون أو لا يعذرون؟

إنما هي في الآخرة، وأما في الدنيا فمن وقع في الشرك فهو حكمه حكم المشركين.

أن الرسالة عمَّت كل أمة). وهذا استنباط واضح بَيّن وعرفنا مأخذه من حيث المفهوم فيما سبق ({وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ})، إذًا كل أمة، كل طائفة، كل حزب تحزب بنفسه قد بعث إليهم الرسول فأنذرهم وبشرهم، ويُبنى عليه المسألة التي ذكرناها مرارًا وهي عدم وجود من يُسَمَّى بأهل الفترة، نحتاج إلى دليل واضح بَيّن يُخَصِّص هذه العمومات المتواترة في القرآن {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: 24] إذًا لا توجد أمة إلا وقد أُرْسِلَ إليها من يُنْذرها ويبشرها، حينئذ إذا دُعِيَ بأن ثَمَّ من هم طائفة تُسَمَّى أهل الفترة نحتاج إلى دليل وما ورد من حديث هذا لا يصلح أن يكون مُخَصِّصًا، وإنما يستحسن إذا حُسِّنَ أو صُحِّحَ أن يُجعل في أفراده، أعمى، أخرق .. إلى آخره، أما طائفة عامة مدينة .. إلى آخره، زمن لم يُدْرِكِ الأول، ولم يدركه اللاحق هذا لا وجود له، لأن تفسيرهم فاسد،

على ما تقرر من إفادة هل يوجد من يُسمون بأهل الفترة؟

ج: أنا أقول (أى الحازمى)أهل الفترة هذه خُرافة، وإن جرت على كثير من أهل العلم بالمعنى الاصطلاحي الذي عَيَّنُوه، أهل الفترة مع الحكم بكون الكلّ مخاطب بدعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – ووجود بعض الأفراد لا إشكال فيه هذا واضح بيّن والحس يدل عليه، هل يوجد في أدغال إفريقيا مثلاً أو في أوروبا ونحوها أشخاص لم يسمعوا بالإسلام البتة، أفراد، وأما أن نقول كما يقول كثير من أهل العلم: قوم لم يدركوا النبي السابق ولا أدركهم اللاحق. إذًا لماذا خلقوا؟ والله عز وجل يقول: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] إذًا ما بعث لهم رسول، إذا كان ما أدركوا السابق ولا أدركهم اللاحق، نقول: هذا وجود هذا النوع مصادم للدلالات القطعية {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: 24] وهذه أمة أين النذير؟ هم يقولون: ما أدركوا السابق ولا أدركهم اللاحق. ثم قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الإنس هذه صيغة عموم كل فرد خُلق من أجل التوحيد {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ} [النحل: 36] إذًا في كل أمة. إذًا دل على أن من خُلِقَ للعبادة

من الإنس لا بد أن وقد بُعِثَ إليه رسول، وأما القول بأنه لم يُبعث هذا خلل كبير وهذا مصادم للنص. وأما الحديث الوارد هذا إما أن يقال بأنه لو حُسِّنَ قيل: حسن لغيره. لا يُصادم هذه القطعيات ويحمل على الأفراد، ولا يحمل على جهة العموم. فحينئذ نقول: أهل الفترة لا وجود لهم..وهذا قول ابن جرير الطبري ليس من كيسي فحسب، يعني مسبوق إنكار أهل الفترة، هو قول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وهو إمام من السلف ولي سلف والحمد لله.

ولذلك ابن القيم في ((طريق الهجرتين)) وارجعوا إليه لما ذكر الخلاف في أهل الفترة إن قلنا بوجودهم، قال: الخلاف فيهم هذا في الآخرة – بعد ما ذكر الخلاف – وأما في الدنيا فبالإجماع لا يُصلى عليهم ولا يُغسلون ولا يُكفنون ولا يُدفنون في مقابر المسلمين ولا يورثون، لماذا؟ لأنهم كفار، ينزل مع كونهم ماذا؟ ندعي بأنهم أهل فترة، يعني: لم يدركوا الرسول ولا أدركهم، فإذا كان هذا النوع في الدنيا لا يُعذر البتة فكيف بغيره الذي يعيش بين المسلمين؟ فكيف بمن سمع بالنبي – صلى الله عليه وسلم –؟ فكيف بمن حفظ القرآن وكان من أهل العلم ويستغيث بالنبي – صلى الله عليه وسلم –؟ هذا كفر معلوم من الدين بالضرورة، هذا يخشى على من لم يكفره أن يكون كافرًا، لماذا؟ لأنه يكون منكرًا لمعلوم من الدين بالضرورة، هذه المسألة تنبهوا لها، لا يختلط عليكم الأمر.

يقول صالح آل الشيخ لهذا أجمع أهل العلم على أن أهل الفترة كفار مشركون لا يوصفون بإسلام، ولا يقال عنهم بأنهم ليسوا بكفار، وليسوا بمشركين، بل هم كفار مشركون لأنهم قام بهم الكفر والشرك وحالهم يوم القيامة من جهة التعذيب هذا على التفصيل المعروف عندكم في الخلاف في أهل الفترة؛ والتحقيق فيه أن الله جل وعلا يبعث لهم رسولا في عرصات يوم القيامة فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار؛ فمن قام به الشرك فهو مشرك، ومن قام به الكفر فهو كافر، والتكفير إنما هو لأهل العلم، الحكم بالشرك أخف من الحكم بالكفر،ويقال مثلا هؤلاء عبدة القبور أو الذين يستغيثون بغير الله يقال هؤلاء مشركون خرافيون وإذا قيل أنهم كفار هو صحيح باعتبار الظاهر ولكن لا تترتب عليهم أحكام الكفر كاملة، أحكام المرتد كاملة، وأهل العلم اختلفوا هل يعاملون معاملة المرتد أم معاملة الكافر الأصلي إذا كانوا نشؤوا في ذلك ولم يكن ثمت من يبين لهم على خلاف بينهم في ذلك؛

المقصود من هذا تحرير أصل المسألة، وهو أن الكفر عند أهل السنة والجماعة يكون بالاعتقاد، إما بخلو القلب مما اعتقده من الإيمان أو باعتقاد شيء يناقضه، وبالعمل بخلوه من العمل أصلا لم يعمل خيرا قط، فاته جنس العمل، لم يعمل وإنما اكتفى بالشهادة قولا واعتقادا ولم يعمل جنس العمل فهذا يسلب عنه، أو عمل عملا مضاد لأصل الإيمان وكذلك القول قال أو ترك القول؛ هذه مسألة لا شك أنها مهمة، والأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أوضحوا ذلك وبينوه، وفي كلام أئمة الدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب – رحمه الله – وتلامذته وأبناؤه ما يكفي ويشفي) ا. هـ...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله:

" والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر" .

وقال: " وكذلك أخبر الله عن هود – عليه السلام – أنه قال لقومه: " إن أنتم إلا مفترون" فجعلهم مفترين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه لكونهم جعلوا مع الله إلهًا آخر فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة إنه يُشرك بربه ويعدل به" فالشاهد من كلام شيخ الإسلام قوله: " فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة ".

ولم يسمه ابن تيمية اسمًا آخر أو يخترع له اسمًا كما يفعل أهل الزيغ والضلال الذين يجادلون عن المشركين ويزينون الشرك للناس بشبهات أوهن من بيت العنكبوت، إن دلت فهي تدل على الجهل المركب والبُعد عن أصول أهل السنة والجماعة أما قول الله تعالى في سورة الإسراء: " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً " فلم يقل ربنا عز وجل وما كنا حاكمين بالشرك حتى نبعث رسولاً، بل إن السلف قد أجمعوا على أن من وقع في الشرك فهو مشرك في وجود الرسالة أو في غيبتها، والخلاف بينهم: هل يستحق المشرك بهذا الإشراك العذاب أم لا؟ بل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة والقرآن وماتوا على الجاهلية لا يسمون مسلمين بالإجماع ولا يستغفر لهم وإنما اختلف أهل العلم في تعذيبهم، واتفق العلماء على أن أهل الفترات الذين عبدوا غير الله مشركون وليسوا بمسلمين وإن ماتوا على الشرك لا يدخلون الجنة لأنها حرام على المشرك، وليس هناك تلازم بين نفي العذاب وحكم الشرك فكل معذب في الدارين فهو مشرك كافر وليس كل مشرك معذب إلا بعد قيام الحجة الرسالية والحجة الحدية التي هي الاستتابة فاسم الشرك ثابت قبل الرسالة، والحجة في ذلك العقل والفطرة كما مر معك.

فالعجز قسمان أحدهما؛ مريد للهدى، مؤثر له، محب له، غير قادر عليه، ولا على طلبه، لعدم من يرشده؛ فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، يقول: (يا رب لو أعلم لك دينا خيرا مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي)، فهو كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه، بعد استفراغ الوسع في طلبه، عجزا وجهلا.

الثاني؛ معرض، لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، وراض بما هو عليهن لا يؤثر غيره عليه، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، فهو كمن لم يطلب الدين في الفترة، بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجز عنه.

ففرق بين عجز الطالب؛ وعجز، المعرض، وكلاهما عاجز.

والمسألة تحتاج كثير بحث وتحقيق ولكن لابد وأن تبنى على هذا الأصل الذى قررناه مرارا وهو الأصول الثلاثة المعصومة القرآن والسنة بفهم الصحابة رضى الله عنهم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من فتاوى كبار العلماء في أهل الفترة

الشيخ بن باز – رحمه الله –

نعلم أن من كان من أهل الجاهلية -أي قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم- فهو من أهل الفترة، سؤالي: عن أهل الفترة ما حكمهم؛ لأنني سمعت حديثاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أنه جاءه رجل، فقال: أين أبي؟ فقال: في النار! فذهب الرجل يبكي فناداه، فقال: أبي وأبيك في النار) ، فهل هذا الحديث صحيح؟

الصحيح من أقوال العلماء أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة، ويؤمرون، فإن أجابوا وأطاعوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار، وجاء في هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، وعن الأسود بن سريع التميمي وعن جماعة، كلها تدل على أنهم يمتحنون يوم القيامة، ويخرج لهم عنق من النار، ويؤمرون بالدخول فيه، فمن أجاب صار عليه برداً وسلاماً، ومن أبى التف عليه وأخذه وصار إلى النار، نعوذ بالله من ذلك. فالمقصود أنهم يمتحنون، فمن أجاب وقبل ما طلب منه وامتثل دخل الجنة، ومن أبى دخل النار، هذا هو أحسن ما قيل في أهل الفترة. وأما حديث (أبي وأباك في النار) فهو حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه (أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما ولى دعاه فقال: (إن أبي وأباك في النار) واحتج العلماء بهذا أن أبا النبي -صلى الله عليه وسلم- كان ممن بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة، فلهذا قال) :في النار) ولو أنه كان من أهل الفترة لما قيل له هذا، وهكذا لما أراد أن يستغفر لأمه -عليه الصلاة والسلام- نهي عن ذلك، نهي أن يستغفر لها، ولكنه أذن له أن يزورها، ولم يؤذن له بالاستغفار لها، فهذا يدل على أنهما بلغتهما الدعوة، وأنهما ماتا على دين الجاهلية الكفر، وهذا هو الأصل في الكفار أنهم في النار، إلا من ثبت والله يعلم أحوالهم أنه لم يبلغهم الأمر ما بلغتهم دعوة الرسل فهذا هو صاحب الفترة، من كان في علم الله أنه لم تبلغه الدعوة فالله -سبحانه وتعالى- أحكم الحاكمين، هو الحكم العدل فيمتحنون يوم القيامة، أما بلغته الدعوة في حياته دعوة الرسل كدعوة إبراهيم وموسى وعيسى وعرف الحق ثم بقي على الشرك بالله فهذا ممن بلغته الدعوة فيكون من أهل النار لأنه عصى واستكبر عن اتباع الحق، والله -جل وعلا- أعلم. بارك الله فيكم

مصير أهل الفترة

س ما هو مصير من عاصروا الفترة ما بعد وفاة رسول الله عيسى عليه السلام وما قبل بعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يعتبرون من أهل الفترة ؟

الصحيح أن أهل الفترة قسمان القسم الأول من قامت عليه الحجة وعرف الحق ، لكنه اتبع ما وجد عليه آباءه ، وهذا لا عذر له فيكون من أهل النار.

وأما من لم تقم عليه الحجة فإن أمره لله – عز وجل – . ولا نعلم عن مصيره وهذا ما لم ينص الشرع عليه . أما من ثبت أنه في النار بمقتضى دليل صحيح فهو في النار.

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

من هم أهل الفترة وأحكامهم وأقسامهم

القسم الأول من بلغته الدعوة ، والقسم الثاني من لم تبلغه الدعوة

وبقي على حين غفلة ، ويشمل القسم الأول نوعين:

1- من بلغته الدعوة ووحّد ولم يشرك كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل (انظر : البداية والنهاية 2 / 230 وفتح الباري 7/ 147 /

2- من بلغته الدعوة ولكنه غيّر وأشرك كعمرو بن لحي الذي غيّر دين إبراهيم ، والذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجرّ قصبه في النار) رواه البخاري (3521) ومسلم (2856)

وقد جاء النص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن والديه في النار ، روى مسلم (203) أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما قضى دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار(

وفي شأن أمه قال عليه الصلاة والسلام) : استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي) رواه مسلم (976.)

يقول النووي رحمه الله – شارحاً الحديث الأول – :

" فيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة ، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم"

)شرح صحيح مسلم 3 / 79. (

هذا وقد حاول بعض أهل العلم الدفاع عن والدي النبي صلى الله عليه وسلم والحكم بنجاتهما ، وأن الله تعالى أحياهما بعد موتهما ، فأسلما وآمنا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم ماتا على ذلك ، واستدل على هذا بأحاديث موضوعة وضعيفة جداً لا يصح الاستدلال بها

)انظر : الحاوي للفتاوى 2 / 202

وقد ردّ العلماء ذلك.

قال العظيم آبادي : "كل ما ورد بإحياء والديه صلى الله عليه وسلم وإيمانهما ونجاتهما أكثره موضوع مكذوب مفترى ، وبعضه ضعيف جداً لا يصح بحالٍ لاتفاق أئمة الحديث على وضعه وضعفه كالدارقطني والجوزقاني وابن شاهين والخطيب وابن عساكر وابن ناصر وابن الجوزي والسهيلي والقرطبي وجماعة) " عون المعبود494/12

باختصار، وانظر: مجموع الفتاوى324/4. (

و يجب علينا أن ندرك أن النسب لا ينجي الإنسان من عذاب الله تعالى ، يقول النووي رحمه الله : " من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين "

(شرح صحيح مسلم 3 / 79. (

ولم يكن حكم والدي النبي صلى الله عليه وسلم وجده بدعاً في ذلك ، فقد أصرّ والد إبراهيم عليه السلام على الكفر حتى مات على ذلك فتبرأ منه إبراهيم عليه السلام ،كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) التوبة / 114 ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يقرّر هذا الأمر بجلاء ، وذلك حين نزلت عليه الآية الكريمة (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) الشعراء / 214 ، قال : (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ،يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً (رواه البخاري (2753(ومسلم(206)

وينبغي على كل مسلم أن لا يحكّم عاطفته في رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته دونما

حجةٍ وبينةٍ من علم فيبوء بالخسارة في الدنيا والآخرة ،والله المستعان.

فتاوى إسلامية - (ج 1 / ص124)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم 0